

قصة الدنيا الجديدة

تأليف : انيد لامونت ميدكروفت
ترجمة : صلاح حامد



0024196



Bibliotheca Alexandrina

فَضْلُ الدِّينِ الْإِبْرَاهِيمَ

LAND OF THE FREE

Published by

THOMAS Y. CROWELL COMPANY, NEW YORK

Copyright © 1961 by End La Monte Meadowcroft



فصل الزبير الطبري

تأليف : إنيد لامونت ميدوكروفت
ترجمة : صلاح حامد



ملتزم الطبع والنشر
عالم الكتب
٣٨ شارع عبد الرحمن شريف ت ٥١٤٠١
الرياض



الفصل الأول

كلمة سحرية

(الزمن ١٤٩٢ - ١٦٠٧)

كان همر سهر اكتوبر مضيئا والبحر هائجا عنيفا . وتفجح
رياح قوية أشرعة السفن الأسبانية الثلاث الصغيرة التي كانت
تمخر صوب الغرب .

ورغم أن الوقت كان منتصف الليل فإن رجال تلك السفن
كانوا متيقظين تماما فوققوا مستندين الى الحواجز أو صعدوا الى
أماكن عالية وجعلوا يراقبون الأفق في اهتمام وتدقيق . وكان
فائدهم واقفا على جسر السفينة فاظرا أمامه في قلق يحدق هو
الآخر بعينه .

لقد مضت عشرة أسابيع طويلة منذ غادر كريستوفر كولومبوس
ورجاله أرض أسبانيا وظلوا يحرون ، يوما بعد يوم ، في محيط
مجهول ، باحثين عن طريق فصير الى بلاد اسمها جزر الهند : بلاد
غنية بالذهب والتوابل .

وكثيرا ما شعر الملاحون باليأس وأرادوا أن يعودوا . ولكن
كولومبوس كان يقنعهم بمواصلة الابحار وهامهم الآن قد رأوا
غصنا أخضر وعصاة غريبة الشكل محفورة عائمة على الأمواج
فتأكدوا أن الأرض لا بد أن تكون قريبة . ووقف كل منهم الآن
، حب في تلهف آملا أن يكون أول من يلمح الأرض .

ومرت ساعتان مرورا بطيئا . وفجأة سمعت صرخة مليئة
بالبهجة والسعادة ، صادرة من أحد أمكنة المراقبة على السفينة .

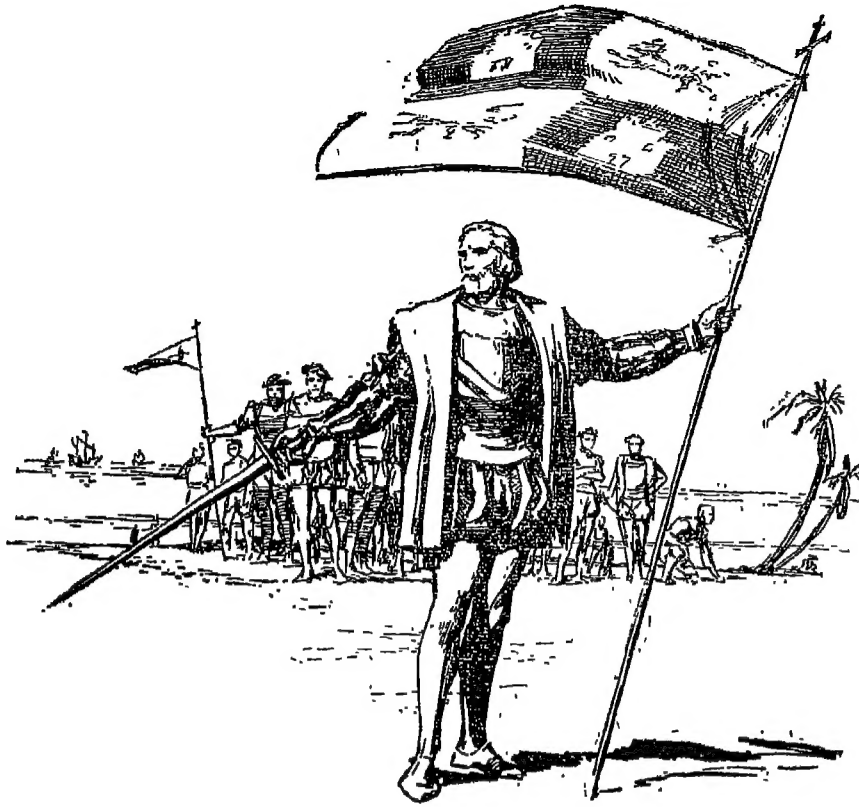
هتف الرجل عاليا : أرض ! أرض !

وكانت الأرض هناك فعلا ! هناك بعيدا ! ولكنها كانت واضحة
في ضوء القمر ! شريط طويل رفيع من الأرض !

وكانت الشمس قد طلعت منذ حين عندما هبط كولومبوس
وملاحوه على شاطئ رملي أبيض : وركعوا على الأرض يشكرون
الله الذي أوصلهم سالمين عبر المحيط الشاسع المليء بالأخطار .

وفي نفس هذه اللحظات كان هناك أناس ذوو سحن غريبة في
لون النحاس مختلفين في غابة خضراء كثة يرقبونهم من طرف خفي !
وتقدم كولومبوس وغرس علم أسبانيا قويا في الرمال . وبصوت
جهوري مرتفع أعلن أن هذه الجزيرة التي وجدها إنما هي من
ممتلكات ملك أسبانيا وملكتها للذين قدما السفن والأموال
للقيام برحلته هذه . وأطلق كولومبوس على هذه الجزيرة اسم
« سان سافادور » .

وأطلق على المواطنين المسالمين اسم « الهنود » . ولقد ظل
كولومبوس معتقدا طول حياته أن هذه الجزيرة التي وجدها إنما
هي جزء من جزر الهند . لم يعرف كولومبوس أبدا أنه كان في
هذا اليوم الثاني عشر من أكتوبر عام ١٤٩٢ قد اكتشف عالما
جديدا .



ووجد كولومبوس جزرا أخرى قبل عودته الى أسبانيا . وكان
لقصصه عن هذه البلاد الجميلة التي رآها الفضل في أن خرج رجال
آخرون متلهفين على اكتشافها .

وكتب أحد هؤلاء الرجال ، واسمه أميريجو فيسيوتشى ،
وصفا لرحلاته طبع في كتاب في أوروبا . ثم قرأ هذا الكتاب واضع
خرائط ألماني كان يعد كتابا في الجغرافيا . فاقترح أن يكرم
أميريجو فيسيوتشى بتسمية العالم الجديد على اسمه . ومنذ ذلك
الوقت أصبح اسمه أمريكا .

أمريكا I

وسريعا ما أصبح الاسم في أوروبا كلمة سحرية ! ويا للقصص الرائعة التي سمعوها عن العالم الجديد .

قال الرجال الذين كانوا هناك انه توجد في أمريكا جواهر وقضة وكثير من الذهب ، وان البحار الشمالية غنية بالأسماك الكبيرة ، وان الغابات تموج بالحيوانات ذات الفراء ، وان الأرض الغنية الخصبة تنتظر من يملكها ، وأن معظم الهنود قوم مسالمون .

وانتشرت تلك القصص في جميع أنحاء أوروبا فاستقر عزم أفاس كثيرين من مختلف بلاد أوروبا أن يذهبوا الى العالم الجديد بحثا عن الثراء .

وجاء الأسبان أولا ، باحثين عن الذهب . واستقر بعضهم في انجيزة التي كان قد اكتشفها كولومبوس ، والتي نسميها نحن جزر الهند الغربية وذهب آخرون الى المكسيك والى أمريكا الجنوبية . واتجه مستكشف أسباني صوب الشمال فوقع على بلاد أطلق عليها اسم فلوريدا . وبعد ذلك بأكثر من عشرين عاما وجد مستكشف آخر نهرا عظيما يسميه الهنود المسيسيبي .

وفي نفس الوقت كان صيادون من الفرنسيين يحرون بقواربهم الصغيرة عبر المحيط الأطلسي العاصف في كل شتاء ومن المياه الثلجية المحيطة بنيوفوندا لاند يستخرجون الآلاف من الأسماك الكبيرة فيملحونها ويحملونها عائدين بها الى أوروبا لبيعها .



وكان رجلا فرنسيا ذلك الذى وجد نهرا واسعا عريض المجرى
وراح يكتشفه ثم أطلق عليه اسم « سانت لورنس » واستولى
عنه هو وكل البلاد التى رآها ، باسم ملك فرنسا وسمى هذه
البلاد « كندا » .

ورحب الهنود الذين كانوا يقطنون قرب « سانت لورنس »
بالرجال البيض وسريعا ما أخذ التجار الفرنسيون يشقون طريقهم
خلال غابات شرقى كندا ، فيقدمون الى الهنود الحلى الرخيصة
مقابل الفراء الكثيف .

طمع الانجليز أيضا فى الحصول على الفراء ، وعلى السمك
والذهب أيضا . ولكن نفرا من الرجال الحكماء الأذكياء فى انجلترا
فكروا فى الحصول على ما هو أهم من هذا . رأوا أن جزيرتهم

الصغيرة التى يسكنونها بالغة الازدحام وظروف الحياة فيها صعبة والعمل قليل .

قالوا فيما بينهم « لو استطعنا أن ننشئ مستعمرة انجليزية فى مكان ما فى أمريكا لأمكن أن يذهب اليها كثير من الانجليز فيستوطنون فيها ، ومن هناك يبعثون إلينا بأخشاب الغابات وبجزء مما يجدون من ذهب ، ونستطيع نحن أن نبيعهم الثياب الصوفية وما يحتاجون اليه من أشياء أخرى .

وبدا المشروع رائعا . فتأسست شركة فى مدينة لندن لاعداد السفن والمؤن للبحث عن أناس لديهم الشجاعة الكافية لاقامة موطن فى العالم الجديد .

ومنح ملك انجلترا ، جيمس الأول ، شركة لندن الاذن بانشاء مستعمرة فى أمريكا .

وفى يوم بارد من أيام شهر ديسمبر عام ١٩٠٦ أبحرت ثلاث سفن صغيرة الى مكان سماه الانجليز ، بعد ذلك ، فيرجينيا . وحملت هذه السفن ثلاثمائة وعشرين مسافرا كلهم من الرجال .





الفصل الثاني

بداية جريئة

(الزمن ١٦٠٧ - ١٦٢٠)

كان ذلك شهر أبريل قبل أن تلقى السفن الانجليزية مراسيها،
أخيرا أمام ساحل فيرجينيا . وأنزلت الزوارق الطويلة الى الماء ،
واتجه فيها بعض الرجال الى الشاطئ للاستكشاف . وهناك
ظلوا طوال اليوم ينجولون معجبين بالأشجار الطويلة الباسقة
والطيور ذات الألوان البهيجة والبراري المتألقة بأزهار الربيع
كأنها النجوم . وعند الغسق عادوا الى الشاطئ .

وفجأة برز الهنود ، من بين الظلال ، وكانوا قد جاءوا زاحفين
نحوهم على أيديهم وركبهم كأنهم الدببة . وفي لحظة واحدة امتلأ
اجو بالسهم الطائرة . وأطلق الانجليز النار من بنادقهم . وفر
الهنود الى الغابات وهم يطلقون صرخات الرعب والفرع . وبسرعة



اندفع الرجال البيض الى زوارقهم الطويلة وشرغوا يجذفون عائدين الى سفنهم .

وجرح اثنان من الرجال ولكن ذلك لم يثبط من شجاعة الآخرين وظلوا يعودون عدة أيام لاستكشاف المنطقة القريبة ، ثم أبحروا على مياه نهر جميل الصفحة الى أن بلغوا مكانا قرروا أن يقيموا به . وأطلقوا على هذا النهر اسم نهر جيمس ، وقرروا أيضا أن يطلقوا على محلته اسم « جيمستون » تكريما للملك .

وأفرغت السفن الثلاث شحناتها من العدد والمؤن . وسريعا ما أخذت الغابات تردد أصداء الأصوات الانجليزية والرجال يقتلعون الاشجار لبناء الأكواخ وتخزين الباقي أو لاخلاء مساحات من الأرض من أشجارها استعدادا لزراعتها .

وسارت الأمور على ما يرام فى محلة جيمستون ما يقرب من أسبوعين . ثم حدث ذات صباح جميل من شهر مايو أن هاجم الهنود هذه المحلة - جاءت أعداد ضخمة منهم وقد ظلوا أجسادهم بطلاء الحرب . وقاتل أهل المستعمرة بشجاعة وردوا عنهم معظم الهنود الا أن بعضهم ظل مختفيا فى الغابات أسايح طوالا بترصدون من يخرج لصيد الحيوان أو الأسماك .

واشتدت الحاجة الى الغذاء ، اذ أخذت المؤن التى جلبوها من انجلترا تنقص وتنفد . وأصبحت الحرارة خاقة كما أن مياه النهر لم تكن صالحة للشرب .

وأخذ رجال يموتون ، أسبوعا بعد أسبوع ، بتأثير الجوع أو الحمى . وعندما جاء موسم الأمطار لم يكن باقيا على قيد الحياة من المستوطنين الانجليز سوى ثمانية وثلاثين ، وكان يمكن أن يموت هؤلاء أيضا لولا قبطان شاب قوى اسمه جون سميث .

كان الكابتن سميث رجلا شجاعا يعرف كيف يتعامل مع أنواع كثيرة من الناس ، وكان قد قام باستكشاف المنطقة حتى منبع النهر واتخذ له أصدقاء من بعض الهنود . وأصبح الآن قادرا على اقناعهم بأن يجلبوا الى المحلة القمح ولحم الغزال مقابل الحلى . وهكذا حصل المستوطنون على الطعام وأصبحوا من جديد أهوياء

وعندئذ كانت تلك السفن الثلاث التى أبحرت الى انجلترا قد عادت الآن تحمل مؤنا ورجالا آخرين . الا أن هؤلاء الرجال لم يجيئوا لغرض المعاونة فى تشييد جيمستون وانما جاءوا ينشدون المغامرة والذهب . وكان معظمهم يعتبرون أنفسهم من « السادة » ورفضوا القيام بأى عمل خشن .

فقال الكابتن سميث الذى أصبح الآن قائد المستعمرة «حسن جدا اذن ، ان الذى لن يعمل لن يأكل » .

وسرعان ما راح القادمون الجدد يعملون فى اقامة الأكواخ واصلاح المخازن وزراعة القمح واعداد الأخشاب لارسالها الى انجلترا .



وفت محلة جيمستون شيئاً فشيئاً . ووقعت في مناوشات مع الهنود مرة أخرى ، كما مرت بهم فترة مجاعة قاسية . ولكن المستعمرين لم ييأسوا . ومرت الشهور ثم جاء عدد من المستوطنين انجدد وقد حملوا معهم الأبقار والخنازير والماعز والدجاج وابتنى البعض أكواخا في جيمستون وأنشأ الآخرون محلات صغيرة أخرى غير بعيد منها .

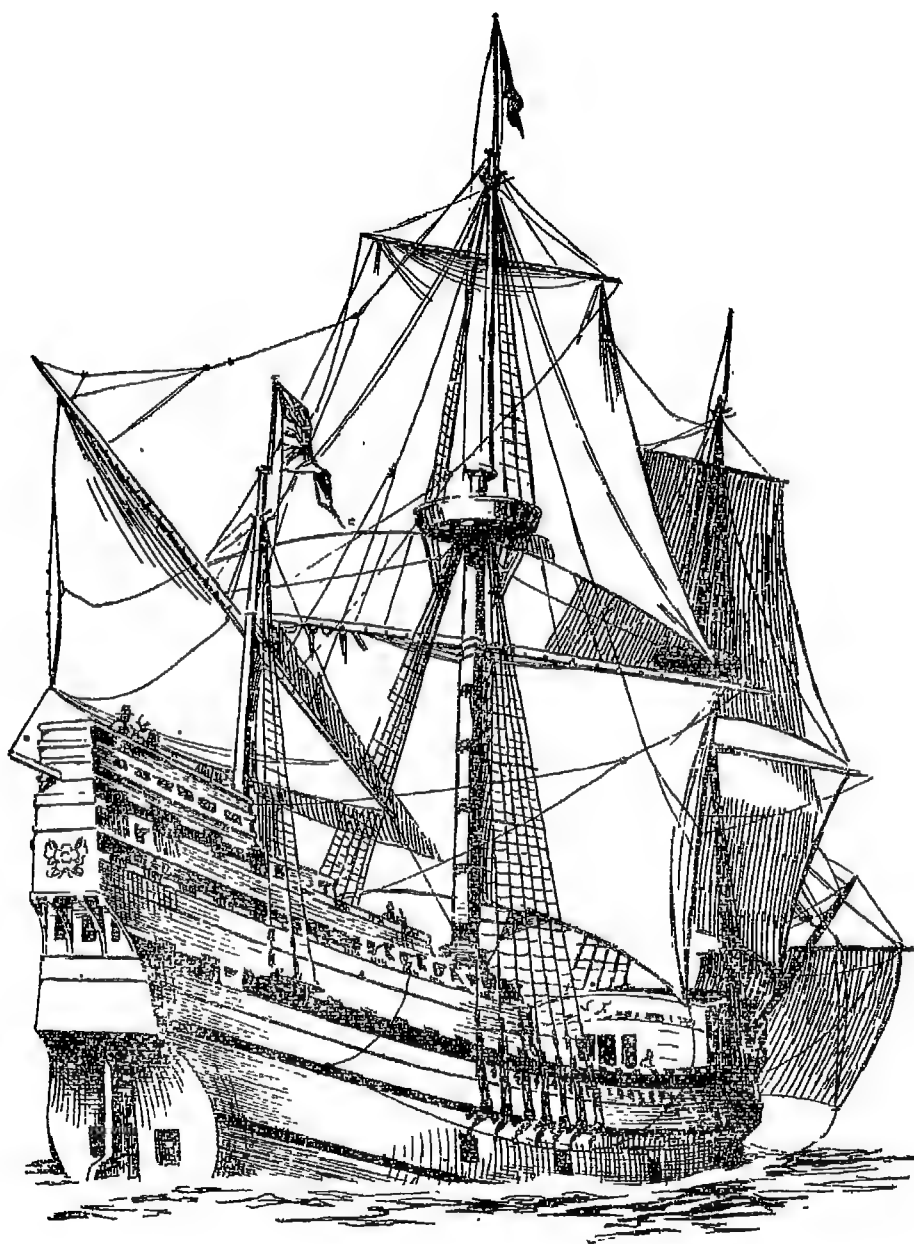
لكن المستعمرين لم يعثروا على ذهب في فيرجينيا الا أنهم تعلموا كيف يزرعون التبغ في تربة فيرجينيا الخصبة ثم يبيعونه ويبيعون به الى انجلترا حيث كان يباع بأسعار مرتفعة .



ولم تمض أعوام قليلة حتى قامت مساكن جميلة كثيرة على
شاطئ نهر جيمس .

وكان ليفرجينيا حاكم يرسله ملك إنجلترا . ولكن كان لها
أيضا مجلس منتخب من كل محلة يجتمع رجاله في كنيسة خشبية
فبضعون القوانين للمستعمرة ويحددون لها الضرائب .

وعندما بلغت جيمستون ثلاثة عشر عاما من عمرها كان فيها
أكثر من ألف إنجليزي ممن يعيشون في أمريكا . وكان هناك
مستعمرون آخرون في طريقهم على ظهر سفينة صغيرة اسمها
« ميفلاور » الى العالم الجديد .



الفضل الثالث

انجلترا جديدة في العالم الجديد

(الزمن ١٦٢٠ - ١٦٦٤)

أخذت السفينة « ميفلاور » تتأرجح على سطح المحيط الموحش تدفعها ريح قوية من الغرب . وجلست النساء في القمرات المزدهمة في باطن السفينة يهدئن صغارهن ويسكتن صراخهم بينما أخذ الرجال يتحدثون بما لديهم من خطط ومشروعات للحياة في العالم الجديد .

وكان هؤلاء المستوطنون قد غادروا انجلترا لأن الملك رفض أن يسمح لهم بتأدية شعائر دينهم وفق عقيدتهم الخاصة . ونحن نسمى هؤلاء الناس « الحجاج »

و ذات صباح عنيف من شهر نوفمبر لمح الحجاج مرأى الأرض وسرعان ما رست « ميفلاور » على ساحل « كيب كود » ونزل بعض الرجال الى الشاطئ يتقدمهم الكابتن « مايلز ستانديش » يبحثون عن مكان صالح لاقامة محلّتهم . وبعد عدة أيام وجدوا مرفأ آمنا ، وشاطئاً رملياً ، ومساحة مكشوفة ذات أشجار عالية وغدران نقيّة .

وجلبوا الى الشاطئ فئوسهم ومعاولهم ومناشيرهم وشرعوا يبنون الأكواخ . وظلّوا أثناء عملهم يراقبون ظهور الهنود . الا أن مرضاً خطيراً كان قد تفشى في هذه المنطقة فقتل كثيرين من السكان



الأصليين جعلهم لا يفكرون في العودة إليها مما وفر على الحجاج
متاعهم .

وفي أسابيع قليلة أقيمت سبعة منازل ودار عامة مشتركة .
وعند ذلك غادرت النساء والأطفال السفينة وجاءوا ليعيشوا
على البر .

وقرب نهاية شهر ديسمبر غمرت الثلوج هذه القرية الصغيرة
وكان اسمها « بلايموث » وعانى الحجاج شتاء قاسيا ذلك العام
كانت الرياح الثلجية تصفر في شقوق منازلهم الخشبية البسيطة

ولم يكن لديهم مايكفيهم من طعام سوى المحار فمات الكثيرون منهم وقبل أن يبلغ الشتاء نهايته كان قد مات أكثر من نصف الحجاج .

وفي النهاية ذابت الثلوج وبدأت البراعم في التفتح .

وعندئذ ، وذات صباح في شهر مارس رأى الحجاج المشدوهون هنديا طويل القامة يسير في شارع قريتهم .

وصاح الهندي بصوت مرتفع : « مرحبا بكم أيها الانجليز ، مرحبا ! »

وقال الهندي للحجاج الذين التفوا من حوله ان اسمه « ساموسيت » وانه تعلم بضع كلمات انجليزية قليلة من الصيادين الذين كانوا يرسون بقواربهم أحيانا على الشاطئ وأضاف الى ذلك أنه يحب الانجليز وأنه سوف يجلب معه الى القرية أصدقاء آخرين من الهنود .

ولم يمض وقت طويل حتى جاءوا . وقرر أحد هؤلاء ، واسمه « سكواتو » ، أن يبقى مع الحجاج . وعلمهم هذا الرجل كيف يزرعون القمح الهندي ، وعلم الصبيان كيف ينصبون الفخاخ للارانب وكيف يصطادون الثعابين النهرية . وجاء الى بلايموث زعيم هندي آخر ، هو الرئيس «ماسا سويت» ومعه مجاربه بوجوههم الملونة بالطلاء وتعهد بأن يظل هو ورجاله أصدقاء للرجال البيض.

كانت الايام تولى بسرعة والحجاج يعملون بجهد طوال الصيف



فلما جاء موسم سقوط الأمطار كان في القرية مخزن جديد ممتلئ
بالقمح والفول . وكانت هناك أكوام كبيرة من الأخشاب مهياة
للسحن الى انجلترا وأحكمت أبنية المنازل ومنافذها للوقاية من
الشتاء القادم .

وقال الرجل الطيب ويليام براد فور الذي كان يحكم المستعمرة
الصغيرة « اننا جميعا بخير وعندنا الكثير لشكر عليه . فلنقم عيدا

للحصاد مثل تلك الاعياد التى كنا نقيمها فى انجلترا ولنسعد معا .
بكل الطيبات التى وهبها الله لنا .

وهكذا ذبح الناس الديكة والبطة والأوز البرى ودعى ماساسويت
ورجاله الهنود الى الاحتفال فجلبوا معهم المزيد من الديكة فضلا
عن خمسة غزلان سمينة . وظل الحجاج والهنود يلعبون الألعاب
ويحتفلون بالعيد معا ثلاثة أيام كاملة . وكان هذا أول عيد من أعياد
الشكر فى أمريكا .

وبعد انتهاء الأعياد بوقت قصير وصلت من انجلترا سفينة أخرى
تجمل عددا من الحجاج قاصدين « بلايموث » ، وبعد سنين قليلة
جاء أسطول من السفن يحمل ما يقرب من ألف من الانجليز ، من
الرجال والنساء والاطفال يريدون أن يتخذوا لهم موطننا جديدا .
ورست هذه السفن شمالى « بلايموث » على شواطئ خليج
« ماساشوستس » . ولم تمض فترة طويلة حتى أقاموا قرية
بوسطن وعده قرى أصغر منها على مقربة من بوسطن .

وأطلق هؤلاء الناس على أنفسهم اسم « البروتستانت » وكانوا
هم أيضا قد غادروا فى سبيل الحرية للتعبد حسب طريقتهم الخاصة .

وحدد البروتستانت طرقا خاصة فى السلوك والملبس والعقيدة
وطرق الصلاة وكانوا يوقعون عقابا صارما على من يخالف
ذلك .

فالتقى قسيس شاب شجاع اسمه « روجر ويليامز » فى قرية

« سالم » هذه ، خطبة ضد هذه القوانين الصارمة فغضب عليه
الزعماء البروتستانت وطرده من « ماساشوستس » .

وكان الوقت شتاء والجو قارسا حين اضطر الى الهرب في
جوف الغابة ولكن الهنود الاصدقاء وفروا له الطعام والمأوى .
وفي الربيع اشترى منهم أرضا وابتنى كوخا على شاطئ خليج
«ناراجانست» وسرعان ما لحق به أصدقاء له من «ماساشوستس»
وعاونوه على انشاء مستعمرة «رود آيلاند» ، وأصبحت مستعمرة
يستطيع فيها أى شخص أن يختار دينه وأن يشترك في وضع
القوانين .

وكان هناك كثيرون آخرون من أبناء مستعمرة «ماساشوستس»
يرون أن زعماء البروتستانت مبالغون في شدتهم وصرامتهم ولكن
الانجليز ظلوا يتوافدون عليها رغم ذلك . لقد كانوا ينشئون
انجلترا الجديدة في أمريكا وكانت هذه تنمو بسرعة .

وكذلك كانت فيرجينيا والمستعمرة الجديدة « ماريلاند »
الواقعة الى الجنوب منها ، ولكن كانت هناك أمور غريبة تدور في
المنطقة الواقعة بين هذه المستعمرات الجنوبية و « نيوانجلاند » ..
أمور أقلق المستعمرين الانجليز وملكهم اقلاقا عظيما .





الفصل الرابع

ثم أصبح هناك ثلاثة عشر

(المزن ١٧٣٢ - ١٧٥٠)

كان الهولنديون يستقرون في المنطقة الواقعة بين المستعمرات الجنوبية ونيوانجلاند . وعندما جاء العام ١٦٦٤ كانت هناك مزارع هولندية ضخمة ممتدة على جانبي نهر هدسون ومدن صغيرة محصنة ، في أعماق الغابات ، يتبادل فيها التجار الهولنديون البنادق والبارود مع الهنود على الفراء . قامت مدينة هولندية تعج بالحركة اسمها «نيوأمستردام» على جزيرة كان يسميها الهنود «مانهاتان» .

ولم يكن الانجليز يحبون رؤية المحلة الهولندية تقوم على الأرض التي كانوا يريدونها لمستعمراتهم . لذلك قرر الملك الانجليزي أن يضع حدا لهذا الامر .

و ذات يوم مشرق من أيام شهر سبتمبر دخلت أربع سفن حربية انجليزية خليج « نيوامستردام » وألقت مراسيها . ثم اتجه قارب صغير نحو البر حاملا رسالة من قائد الاسطول الى الحاكم الهولندي « بيتر ستايفسنت » .

وقالت الرسالة للحاكم « اننا نطالب بملكية الأرض التي أقمت عليها وقد جئنا لأخذها . استسلم ، دون حرب ، وسيكون لمواطنيك أن يحتفظوا بممتلكاتهم ويتركوا في وضع قوانينهم الخاصة بهم . أو حارب فتدمر مدينة « نيو أمستردام » .

وكان « بيتر ستايفسنت » جنديا عجوزا شجاعا ذا ساق من الخشب ومزق الرجل الرسالة اربا وهو غاضب . وصرخ قائلا انه يفضل أن يموت على أن يسلم للانجليز . ولكنه عندما أمر الناس أن يستعدوا للحرب رفضوا ذلك .

لم يكونوا يريدون أن تدمر مدينتهم كما أنهم لم يكونوا يحبون «ستايفسنت» اذ كان يحكمهم منذ سنوات حكما صارما . ولم يكن «بيترستايفسنت» يستطيع أن يحارب الانجليز وحده . وهكذا استسلمت نيو أمستردام والمستعمرة الهولندية التي كان اسمها « نيونيذرلاندز » . وعندئذ غير اسم المستعمرة والمدينة فأصبح « نيويورك » .

وفي أعوام قليلة أصبح الانجليز المستوطنون في نيويورك أكثر همن كانوا فيها من الهولنديين . وكانت أسر من انجلترا تقيم قرى صغيرة في مستعمرات «نيوجيرسى وديلاوير» . وكان المستوطنون الانجليز في الجنوب من هذه المنطقة يقومون باقتلاع الأشجار وزراعة الجيوب في مستعمرتي كارولينا .





وكان عدة مئات من الرجال والنساء ممن نسميهم «الكويكرز» يستعدون للإبحار الى أمر بكا . وكان زعيمهم رجلا حكيما كريما اسمه « وليامز » .

وكان الكويكرز ، مثل الحجاج ، يلقون سوء المعاملة من الإنجليز بسبب ديانتهم . فقرر « بن » أن ينشئ مستعمرة يستطيعون فيها أن يتعبدوا على طريقتهم .

وفي يوم تساقط فيه الثلج في عام ١٦٨٢ أقلع اتباع « بن » صاعدين نهر « ديلوير » . ورسوا عند مكان اختاره « بن » وبدأوا على الفور يبتنون المساكن .

وكان الطقس لطيفا والتربة خصبة « والكويكرز » أهل عمل وحرص . وسرعان ما أصبحت فيلادلفيا ، وهى أولى محلاتهم ، بلدة صغيرة أنيقة ذات منازل مبنية بالطوب الأحمر تحيط بها الحدائق والمساحات المغطاة بالحشائش .

وسرعان ماتم انشاء مستعمرة «بن» التى سميت «بنسيلفانيا» . وبعد خمسين عاما من تأسيسها بدأ الرجال فى انشاء محلة أخرى اسمها « جورجيا » . ثم أصبحت هناك ثلاثة عشر مستعمرة انجليزية فى أمريكا الشمالية .

ومع أن معظم المستعمرين كانوا من انجلترا ، فإن المئات منهم قد جاءوا أيضا من بلاد أخرى فى أوروبا . ولكنهم كلهم جاءوا بإرادتهم ورغبتهم .

ومع هذا فقد كان هناك أناس آخرون أجبروا على المجيء
ضد ارادتهم . كانوا هؤلاء زنوجا خطفوا من أوطانهم في أفريقيا
وجيء بهم لياعوا عبيدا ، بيع بعضهم في المستعمرات الشمالية ،
وبيع معظمهم في الجنوب حيث ساعدت أعمالهم ذلك الجزء من
البلاد على أن يصبح غنيا وقويا .



الفصل الخامس

أنباء سيئة من وراء الجبال

(الزمن ١٦٦٤ - ١٧٣٢)

كان في الجنوب كثير من الحقول الكبيرة تسمى المزارع . وكان الدخان يزرع في بعض منها ، والأرز والقمح الهندي في بعضها الآخر . وكانت الحقول واسعة تحتاج الى الاف من العمال لزراعة المحاصيل وجنيها .

وبما أن الزنوج معتادون على الجو الحار فانهم كانوا يستطيعون أن يتقنوا العمل تحت شمس الصيف المحرقة . فكان أصحاب المزارع الأثرياء يقتنون أعدادا كبيرة من العبيد لرعاية حقولهم وخدمة منازلهم الجميلة .

وتمكن كثير من أصحاب المزارع أن يعيشوا عيشة رغدة بمساعدة بضع عشرات من العبيد . فكانوا يسرون عن أنفسهم بصيد انشغال وسباق الخيل ولعب الورق والرقص . فاذا رغبوا هم أو أسرهم في أشياء لا يمكن صنعها أو زرعها في مزارعهم ، فانهم كانوا يستطيعون أن يطلبوا الى المتاجر في لندن أن تبعث بها اليهم بطريق البحر .

وعندما كان جورج وشنطن صبيا كان والده يملك مزرعة لتبغ على ضفة نهر الراياهانوك في فيرجينيا . وكانت هناك سفينة

تبحر صاعدة النهر ، ثلاث مرات في العام ، وكانت ترسو عند
مرساة مزارعهم .

وكان هذا دائما وقتا ممتعا لجورج ، فكان يراقب البحارة
يشغف وهم يفرغون حمولة السفينة من صناديق الشاي ، والسكر
والعدد ، والكتب ، والثياب الجميلة ، والأدوية ، والتوابل ،
واللعب . وكان عبيد مستر وشنطن عندئذ يدفعون بحزم كبيرة من
الدخان الى ظهر السفينة مقابل حمولة البضائع التي أفرغت .
وعندما ينتهى الشحن تقلع السفينة قاصدة مزارع أخرى .

وكانت هذه المزارع ، صغيرة أو كبيرة ، بعيدة كل منها عن
الأخرى في العادة . وكانت الطرق جد رديئة وكان الناس يسافرون
كثيرا بطريق الماء . وكان الذهاب الى الكنيسة أو زيارة الجيران
بعربات السفر أو على ظهور الجياد يستغرق ساعات عديدة . ولم
يكن كذلك في المستعمرات الشمالية .

ففى نيوانجلاند ، حيث الحقول صخرية ، فقد كانت المزارع
صغيرة والناس يعيشون متلاصقين في قرى أو مدن صغيرة . وكان
كثير منهم يعملون في الزراعة . وأصبح بعضهم صيادين وكانوا
يجرون التماسا للأسماك المختلفة . وذهب آخرون أميالا في البحر
يصطادون الحيتان اذ كانوا يحتاجون الى زيتها للمصاييح الصغيرة
والكبيرة . وكان بعضهم يبنى السفن .

وكان الصبيان يعملون مع آبائهم أو يذهبون الى المدارس

القروية الصغيرة . ولم يكن يستطيع أن يذهب الى الكليات غير عدد قليل جدا ، ونادرا ما كانت البنات تذهب الى المدرسة وانما كن يتعلمن الطهى وصنع الشموع والصابون والنسيج والغزل والحياكة .

وكان معظم الناس يعملون بجد أثناء الاسبوع وينفقون ساعات كثيرة من يوم الأحد في الكنيسة . ولكنهم كانوا يلهون أيضا في حفلات الألعاب «واحتفالات الجنى» . وفي أيام التدريب عند ذلك كانت الأسر تأتي من أميال بعيدة لتشاهد الرجال تدربون في ساحة القرية . وعندما ينتهى التدريب تقام مباريات الرماية وتمنح فيها جوائز للفائزين ويقدم عشاء طيب للجميع .

كانت بوسطن أكبر بلدة في «نيوانجلاند» وكانت مكانا يعج بالنشاط فيما عدا أوقات الطقس الرديء . وكانت تدخل خليج بوسطن وتخرج منها كل يوم تقريبا سفن بيضاء كبيرة آتية من أوروبا أو جزر الهند الغربية . وكانت العشرات من زوارق الصيد الصغيرة تنتشر على صفحة الماء ، وكثيرا ما كانت تشد الى المراسى انطوية سفن صغيرة تحمل البضائع والمسافرين من البلاد الأخرى المنتشرة على طول الساحل .

وفي منزل صغير قرب واحد من هذين المراسى كان يسكن صبي متأجج بالحياة اسمه بول ريفير . وعندما لم يكن بول يذهب الى المدرسة ، أو في محل أبيه حيث يتعلم مهنة صياغة الفضة فانه



كان ينفق الوقت في التجول في شوارع بوسطن . وكانت معظم
هذه الشوارع ضيقة متعرجة مليئة بالضجة تتجاوز فيها المنازل
والمتاجر والحانات .

وكانت الخنازير تتجمع حول النفايات في الأزقة ، والعربات
تسير بضجيجها على الطرق المرصوفة بالأحجار ، وباعة اللبن
والسمك والوقود ينادون على سلعهم ، ومنادى المدينة يذق جرسه
ويعلن أنباءه عن خيل مسروقة أو أطفال مفقودين . وفي الليل يشق

حارس البلدة طريقه في الظلام حاملا مصباحه يعلن مرور الساعات
بمحالات الجو .

وعدة مرات كل شهر يخرج من بوسطن حامل البريد بالخطابات
والطروء ، في عربة سفر عتيقة ازدحم بها المسافرون .

كانت الطرق أفضل قليلا في الشمال منها في الجنوب . كان
الإنسان يستطيع ان يسافر على ظهر جواد من بوسطن الى
نيويورك في عشرة أو اثنتي عشر يوما فقط ، ومن هناك الى فيلادلفيا
في أقل من أسبوع .

وكانت بلدة «الكويكرز» تلك تنمو في حجمها كل يوم وتصبح
أكثر ثراء أيضا وكان يرجع بعض السبب في هذا الى أن بنجامين
فرانكلين كان يعيش هناك .

كان قد ولد في بوسطن ولكنه فر منها عندما كان في السابعة
عشر من عمره بحثا عن المستقبل . وكان الان يملك مطبعة في
فيلادلفيا . وكان يصدر مجلة أسبوعية وتقوينا اسمه
« پور رتشارد » كان مليئا بالأقوال الحكيمة الفكهة مثل قوله
« ان ثلاثة من الناس يستطيعون أن يكتموا سرا اذا مات منهم
اثنان » .

لم يكن المستر فرانكلين كاتباً ومطبعياً فحسب . وانما كان
كذلك وكيل مكتب البريد في فيلادلفيا . ومع ذلك فقد وجد
الوقت الكافي ليبدأ أول فرقة للمطافئ في البلدة . كان قد أفتع

الناس بأن يستأجروا حراساً أفضل ممن كان لديهم حتى تصبح شوارع فيلادلفيا أكثر أمناً في الليل . كما كان قد أنشأ أيضاً أول مكتبة عامة في المستعمرات .

وبالإضافة إلى هذا كله كان قد اخترع موقداً يعطى حرارة أفضل من حرارة النار الموقدة في الخلاء . وكان قد أسس أكاديمية رائعة للصبيان . وكان قد جمع المال لينشئ مستشفى للمرضى والمجانين .

وكان قد اكتشف أن البرق عبارة عن كهرباء واخترع مائدة للصواعق لحماية المنازل والسفن .

فلا عجب أن أحبه أهل فيلادلفيا ! والحق ، أن الناس في كل المستعمرات الثلاث عشرة ، كانوا عندما يسمعون عن بنجامين فرانكلين ، يقهقهون للأقوال التي ينشرها في « بور رتشارد » . وفي كل عام كان يزداد عدد الذين يضحكون لهذه الأقوال .

وعندما جاء عام ١٧٥٢ كان قد أصبح في أمريكا مليون من المستعمرين وكانت السفن تصل في كل شهر حاملة مستوطنين جدد . وفرب البحر ، أخذت تندر الأرض الطيبة الرخيصة ، فبدأ الناس يتجهون غرباً نحو جبال الأليجاني . بل أن بعض الناس في « فيرجينيا » تحدثوا عن الإقامة في منطقة أوهايو البرية فيما وراء جبال الأليجاني . ولكن الصيادين والتجار الذين كانوا قد عبروا الجبال جاءوا في هذا الوقت بأخبار سيئة .

قالوا ان هناك جنودا فرنسيين فى الغابات قرب نهر الاوهيو
سلبوهم فراءهم وجيادهم ، وان الجنود كانوا يؤلبون الهندود
على الانجليز ، وانهم أعلنوا أن بلاد الأوهيو ملك فرنسا ، وهددوا
بطرده أى مستعمر انجليزى يحاول أن يقيم هناك .

لماذا تغلغل الجنود الفرنسيون فى برارى الأوهيو ؟ وأى حق
لهم فى تهديد المقيمين الانجليز ؟ كانت هذه هى الاسئلة التى تشغل
كثيرين من أهل مستعمرة فيرجينيا . وكانت لديهم أسباب وجيهة
لهذا القلق .



الفصل السادس

متاعب مع الفرنسيين

(الزمن ١٧٥٢ - ١٧٦٥)

ومع أن معظم الانجليز لم يكونوا يعرفون ، فقد كان هنالك كثير من الفرنسيين يستوطنون البلاد الواقعة فيما وراء جبال الألباني منذ وقت بعيد . فقد جذف مكتشفون فرنسيون شجعان بقواربهم الطويلة من نهر سانت لورنس عبر البحيرات العظيمة هابطين مع مياه نهر الميسيسيبي .

وقام جنود فرنسيون بتشييد مواقع محصنة على طول الأنهار والبحيرات وتصادق تجار الفراء الفرنسيون مع كثير من الهنود وأقامت الاسر الفرنسية قرى عدة في كندا ومدينتين كبيرتين سميتا كويك وموتريال .

ولم تكن فرنسا تطالب الان بكندا فحسب وانما كانت تطالب أيضا بمعظم الأرض الواقعة غربى جبال الألباني .

فلما سمع حاكم فيرجينيا ان الفرنسيين يهاجمون الصيادين والتجار الانجليز أصر على أن بلاد الأوهيو ملك انجلترا ، ثم أرسل خطابا الى ما وراء البحر ، ليطلب الى ملك انجلترا أن يخبره عما يجب أن يفعله .

وسرعان ما رسى في فيرجينيا جيش كبير من الجنود الانجليز وصدرت الأوامر الى ذوى المعاطف الحمراء بالامستلاء على قلعة

فرنسية قائمة عند المكان الذى يلتقى فيه نهران معا ليكونا نهرا واحدا هو نهر الأوهايو . وبعدما يستولون على قلعة «دبكيسن» . فان عليهم أن يطردوا جميع الفرنسيين من برارى الأوهايو .

و ذات صباح مشرق من شهر مايو دقت الطبول ونفخت المزامير وخرج ذوو الحلل الحمراء على أنعامها متجهين الى جبال الأليجىنى وسار معهم عدة مئات من جنود المستعمرات . وكان يقود الجيش قائد شجاع اسمه برادوك . وكان أحد أركان حربه كولونيل شاب اسمه وشنطن .

كان جورج وشنطن قد قام قبل ذلك برحلات فى منطقة الأوهايو وعرف الكثير عن الهنود . وكان يعرف أن هناك كثيرين من الهنود المحاربين مع الفرنسيين فى قلعة دبكيسن ، وحاول أن يحذر الجنرال برادوك من الطريقة التى سوف يقاتل بها هؤلاء الهنود ، ولكن الجنرال لم يزد على أن ابتسم فى أدب لأنه كان واثقا أنه لا يمكن لأى من هؤلاء المتوحشين الذين يطلون أجسامهم بالألوان الغريبة أن ينتصروا على الجنود البريطانيين المدربين .

وظل جيشه الكبير ، اسبوعا بعد اسبوع ، يشق طريقه عبر انجبال ، وكان المكلفون بشق الطرق يسبقون الجيش ليقتلعوا الأشجار من الطرق وينظفوها من الأعشاب . وكانت عربات التموين تسير وراء الجيش . وكان يوما حارا من أيام شهر يوليو حين اقترب الجيش أخيرا من قلعة دبكيسن .

وسار الجنود الانجليز ، هادئين ، يخترقون الغابات صوب القلعة ، فى حلهم القرمزية وقد رفعوا بنادقهم وأسلحتهم المدية مستعدين . ولم يكن من صوت سوى تقيق الطيور على الأشجار المرتفعة . وحث ذوو الحل الحمراء سيرهم .

وفجأة دوت الغاية بصرخات حرب منكرة قبيحة . وصرخ جنود برادوك واستلقوا على الارض اذ انهزم عليهم وابل من الرصاص كالامطار من فوق الأشجار ومن تحت الأعشاب . وفى شجاعة ظل هؤلاء الذين لم يقتلوا يطلقون النار على عدو لم يكونوا يستطيعون رؤيته ، ثم أخذهم الفزع فانقضوا عن الصفوف وهربوا .

وحاول الجنرال برادوك يسالة أن يوقفهم . وعدا خلفهم جورج وشنطن هاتفا بهم أن يعودوا ليقاتلوا ، وخر جواده قتيلاً فأمسك بسرعة جوادا آخر لم يكن على ظهره أحد وامطاه والطلقات تصفر حول أذنيه وسقط الجواد الثانى ومات . فامتطى جوادا ثالثا وأسرع وراء الرجال يحاول أن يجمع صفوفهم ولكن لم يكن هناك شىء يمكن أن يقف فى وجه هروبهم وفزعهم .

وقتل الكثيرون قبل أن ينتهى اليوم . وكانت اصابات الجنرال برادوك من سوء بحيث مات بعد وقت قصير . وعندئذ تولى الكولونيل الشاب وشنطن قيادة الجيش . وبعدما دفن الموتى وحمل الجرحى على المحفلات قاد جيشه المهزوم وعاد به حزينا الى فيرجينيا .



وحمل العداءون الهنود نبأ هزيمة الانجليز في أرجاء بلاد
الأوهايو وقرر كثيرون من المحاربين الهنود الانضمام الى الفرنسيين
في حرب ضد الانجليز وأخذوا يتجهون في جحافل عبر الجبال
ويهاجمون المحلات الانجليزية ويحرقون الأكواخ والمحاصيل ،
ويسرقون الخيول ، ويقتلون الرجال والنساء والأطفال .

وفي هذه الأثناء وكانت الحرب الفرنسية والهندية قد امتدت
الى الشمال ترك المزارعون وأصحاب الحوانيت أعمالهم ، وفي
ماماشوستس ونيويورك ومستعمرات أخرى ، انضموا الى
الجيش .

وظلت أحوال أهل المستعمرات تسوء قرابة ثلاثة أعوام . وعند
ذلك أسرع انجلترا ضباطا وجنودا من وراء المحيط لمساعدتهم .
وبمرور الأشهر اضطر الفرنسيون الى تسليم قلاعهم الواحدة بعد
الأخرى .

وأخيرا ، وفي ليلة داكنة من شهر سبتمبر عام ١٧٥٩ أخذ
مئات من الجنود الانجليز يحرقون في صمت صاعدين نهر سانت
لورنس صوب مدينة كويك الفرنسية وعندما طلع ضوء النهار
هاجأوا الجيش الفرنسى وبعد قتال دام أربعة أيام استولوا على
كويك ، ثم على مونتريال ، وبعدها انتهت الحرب الفرنسية
والهندية .

وأصبحت كندا الآن ، هى وكل الاقاليم المترامية نحو الغرب
حتى نهر المسيسيبى ، أصبحت كلها تابعة للانجليز . وما لبث أن

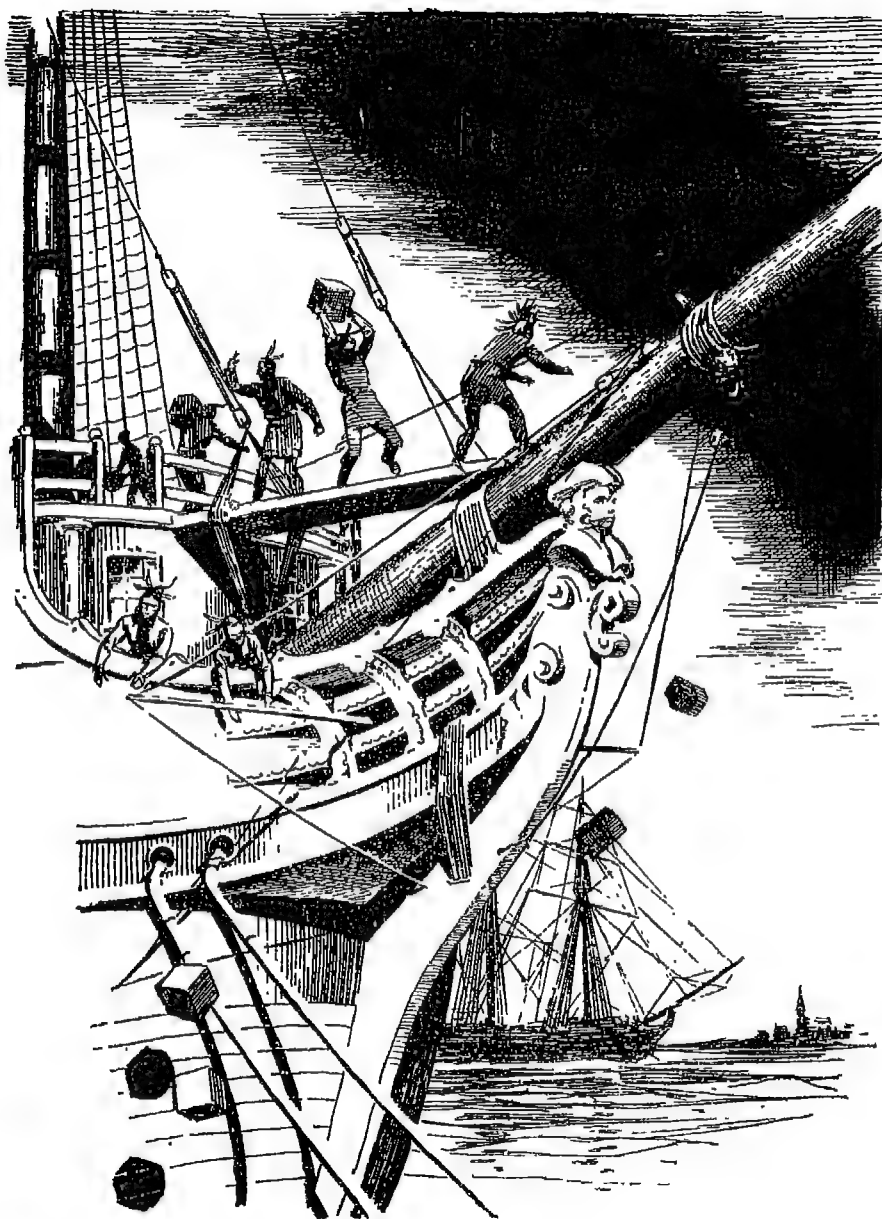
يبدأ مستوطنون من الانجليز يرحلون الى ماوراء الجبال ، الى اقليم الاوهايو . ومن كارولينا الشمالية خرج صياد شاب اسمه دانييل يون ومعه بنادقه وجياده المحملة بالمتاع ليكتشف البرارى المجهولة التى كان يسميها الهنود « كنتاكى » .

وكانت القرى فى كل المستعمرات فى هذه الاثناء قد نمت واصبحت بلدانا بل واصبحت بعض البلدان مدنا . وزاد عدد المدارس والكليات فى البلاد وزادت الكنائس والصحف وزاد عدد موزعيها من رجال البريد الراكبين .

وكان بنجامين فرانكلين الحكيم ، السمين ، المرح قد عين مديرا عاما للبريد فى كل المستعمرات . كان قد قام برحلات بينها منتقلا من واحدة الى اخرى ليكتشف طرقا أقصر لرجاله من موزعى البريد الراكبين وليقيم مكاتب بريد جديدة . وكان يقل الخطابات والصحف الى مسافات أبعد أسرع وأرخص من أى وقت مضى .

وكانت الطرق قد تحسنت بعض الشيء هى الأخرى . وكانت عربات السفر ذات الألوان البهيجة تستطيع الآن أن تقطع الطرق بسرعة خمس أو ست أميال فى الساعة بعد أن أصبحت أيضا أكثر راحة من عربات السفر العتيقة الطراز .

ان سرعة وصول البريد وازدياد عدد الصحف وسهولة السفر كانت كلها تساعد الناس فى مختلف المستعمرات على التعارف واثقافهم فيما بينهم ، كانت تقرب بين المستعمرات المتناثرة . وكان هذا أمرا طيبا اذ لن يلبث أهل المستعمرات أن يضطروا الى النهوض معا فى وجه عدو أقوى بكثير من فرنسا .



الفصل السابع

« انا كانوا يريدون حربا .. »

(الزمن ١٧٦٥ - ١٧٧٥)

ترامب ! ترامب ! ترامب ! ترامب ! وأخذت أربع فرق من الجنود ذوى الحلل الحمراء تهبط ممرات السفن الانجليزية ومنها الى ألواح الرسو فى مدينة بوسطن . ترامب ! ترامب ! ترامب ! ترامب ! وواصلت سيرها على الألواح ثم جعلت تخوض فى البرك العفيرة المتجمعة من مياه الأمطار فى الطرق الحجرية المرصوفة .

واصلت على جانبى الطرق الرجال والنساء والأطفال يراقبون الجنود فى صمت وتلصصت الوجوه جامدة من وراء النوافذ التى بللتها الأمطار بينما يمر ذوو الحلل الحمراء . كان الجميع فى بوسطن يعرفون لماذا جاء الجنود وكان الجميع تقريبا بين غاضب أو خائف .

كان ذلك فى شهر مايو عام ١٧٧٤ أى بعد أكثر من عشرة أعوام من انتهاء الحرب الفرنسية والهندية . وفى أثناء تلك الأعوام كان قد حدث كثير من المتاعب بين أهل المستعمرات والوطن حتى الأم .

كانت المتاعب قد بدأت لأن ملك انجلترا أراد مزيدا من المال لحكومته . لذا أمر أهل المستعمرات أن يدفعوا ضرائب عن بعض

الأشياء المرسلة اليهم من انجلترا . ولكن أهل المستعمرات لهم
يألفوا تلقى الأوامر .

وقالوا يذكرون الملك أننا انجليز ولن ما لكل الانجليز من
حتى تقرير طريقة الحكم وتقرير الضرائب . ولن ندفع ضرائب الا
إذا أمكننا أولا أن ندلى بأصواتنا فيها أولا .

وأصر الملك جورج الثالث الذى كان شابا صغير السن ولم
يكن بالغ الحكمة وقال بل ستدفعون الضرائب ، وستدفعون أى
ضرائب تقرها وستطيعون أى قانون نصدره .

فنشب الخلاف عند ذلك وأخذ يزداد سوءا . رفض أهل
المستعمرات فى غضب أن يشتروا من انجلترا أى شىء مفروض.
تليه ضريبة . وفقد التجار الانجليز اموالا كثيرة . وفى النهاية رفع
الملك وأصدقائه فى الحكومة الانجليزية الضرائب عن كل شىء
الا الشاى .

وقال أهل المستعمرات للتجار الانجليز : لا ترسلوا الينا شاي
تنبه ضريبة . فأننا لن نشتره .

ولكن ما لبثت أن أبحرت سفن محملة بالشاى فى طريقها عبر
المحيط . وعندما وصلت امريكا كان أهل المستعمرات على استعداد
بها فى نيويورك وفيلادلفيا وحالت الجماهير الغاضبة دون انزال
الشاى الى البر . وفى تشارلستون أفرغ الناس حمولة الشاى
وخرنوه فى اقية باردة وأغلقوا عليه . وفى بوسطن ذات ليلة داكنة

في شهر ديسمبر هاجم البعض من أهل المستعمرات متكررين في هيئة هنود وصعدوا الى ظهر السفن الراسية في المرفأ . وعندئذ القوا بحمولة الشاى الثمينة الى البحر .

وأثارت أنباء ما فعلته هذه الجماعة بالشاى في بوسطن الملك جورج الثالث . والآن جاء الجنود من انجلترا لمعاينة أهل بوسطن وكانوا قد أمروا باغلاق الميناء وعدم السماح لأى سفينة تابعة لأهل المستعمرات بمغادرة الميناء أو الدخول فيه حتى يدفع ثمن كل الشاى المفقود .

كانت هذه عقوبة صارمة . وكانت بوسطن مركزا كبيرا لحركة السفن . وكان البحر يحيط بها من كل جانب تقريبا ، فاذا أغلقت الميناء فسيتعطل الآلاف عن العمل ، ولن يستطيع المزارعون أن يجلبوا اللحم والخضر الى بوسطن عن طريق القوارب . والصيادون لن يستطيعوا الخروج الى البحر ، ولن يلبث الطعام أن يصبح نادرا فيجوع أهل بوسطن وقد يموت كثيرون منهم .

ولكن حتى عندما كان ذوو الحلل الحمراء يسرون في الطرق المرصوفة كان الفرسان من الرسل الخصوصيين يهرعون بجيادهم خارجين من المدينة . وكانوا ينطلقون شمالا وجنوبا وغربا ليذيعوا نبأ المشكلة الواقعة في بوسطن ويطلبوا المعونة .

وجاءت المعونة بسرعة . أرسل المزارعون في كونيكتيكت ورود آيلاند قطعان الأبقار والخراف الى بوسطن وأرسلت

فـيرجـينا وكـارولـينا الشـمالـية وكـارولـينا الجـنوبـية عـربـات مـحمـلة
بـالـجـبـوب . وأرسلت مستعمرات أخرى أموالا ورسائل يقولون
فيها : « لا تستسلموا . لا تدفعوا ثمن الشاي . سنقف بجانبكم » .

وكانت المستعمرات الثلاث عشرة حتى ذلك الوقت كأنها
ثلاثة عشر بلدا صغيرا منفصلا . كان كل منها قد رتب أمور نفسه
ولم يكن تعنيه كثيرا شئون المستعمرات الأخرى . أما الآن فقد
استقر عزمهم على أن يعملوا معا لوضع حد لهذه المشاحنات
الطويلة مع إنجلترا . وفي كل مستعمرة ماعدا جورجيا ، كان الناس
ينتخبون مندوبين عنهم لمناقشة الأمور في اجتماع فيلاد ليفيا .

واجتمع الرجال الذين نظموا « مؤتمر القارة » هذا عدة
مرات . وفي النهاية قرروا أن يبعثوا برسالة الى الملك جورج
الثالث ، وطلبوا اليه فيها أن يغير القوانين التي يرونها غير عادلة
وأن يسحب جنوده من بوسطن .

وكان رد الملك الوحيد أن بعث بالمزيد من الجنود ، بالآلاف
منهم . وفي هذا الوقت كان كثير من أهل المستعمرات قد شعروا تماما
بأنه لن يلبث أن يتحتم عليهم أن يقاتلوا من أجل حقوقهم ، وبدأوا
بالفعل يستعدون لذلك في نيوانجلاند . وظهرت الجماعات من
الرجال والصبيان الكبار يتدربون ، أسبوعا بعد أسبوع ، في كل
ساحة من ساحات القرى . وكان بعضهم الآن على الاستعداد
للقتال بعد دقيقة واحدة من إخطاره ولذلك سمو « رجال
الدقيقة » .

وفي ماساشوستس أخذ زعماء المستعمرة يجمعون في البنادق
والذخيرة والتموين دون ضجة ويخبئونها في قرية كونكورد التي
تبعد عن بوسطن ثمانية عشر ميلا .

أما بوسطن نفسها فكانت تعج بذوى الحلل الحمراء . وكان
بول ريفير وبعض الآخرين من أهل المستعمرة يراقبون الجنود
الانجليز طول الوقت مراقبة سرية . وفي الثامن عشر من شهر
ابريل سنة ١٧٧٥ عرفوا أن البريطانيين قد علموا بأمر المؤن
المخبأة ، وعرفوا أيضا أن الأوامر صدرت اليهم بالزحف الى
كونكورد قبل طلوع النهار في صباح اليوم التالي وبلاستيلاء
على كل بندقية وكل برميل من براميل البارود .

كان ينبغي اذن تحذير أهل القرية بأى شكل ولذلك اسدعى
رجال الدقيقة ورسم بول ريفير وأصدقائه خطتهم على عجل .

وفي وقت متأخر من الليل وبمساعدة الاصدقاء تمكن بول
ريفير وويليام روز من التلصص هارين خلصة أمام الحراس
البريطانيين والخروج من البلدة . ثم اتخذ كل منهما طريقا منفصلا
عن الآخر وامتطى جواده وأسرع صوب كونكورد يشقان طرقا
أضاءها نور القمر .

وكانا يخترقان القرى الهادئة وهما يهتفان بالناس « الى
السلاح ! » ، وكانا يدقان على الأبواب والنوافذ « البريطانيون
قادمون ! الى السلاح ! » .



وهرع الناس من فراشهم ، من فلاحين ومدرسين ومبشرين
وأصحاب حوانيت وارتدوا ثيابهم على عجل وامسكوا ببنادقهم .
وفي الوقت الذي اقترب فيه الجنود البريطانيون من ليكسينجتون ،
في طريقهم الى كونكورد ، كان سبعون من رجال الدقيقة ينتظرون
بشجاعة في ساحة القرية لملاقاتهم .

وعندما تقدم الجنود البريطانيون صاح قائد رجال الدقيقة
« أثبتوا في أماكنكم ولا تطلقوا النار الا اذا أطلقوا عليكم . ولكن
اذا كانوا يريدون حربا فلتبدأ هنا اذن » .

وأخذ الطابور الطويل من الجنود ذوى الحلل الحمراء
يتقدمون بخطوات رشيقة على أنغام الطبول ، كما كانت أسلحة
بنادقهم تلتع والذهب يومض في حلل الضباط القرمزية في ضوء
الشمس الطالعة .



وصدر اليهم أمر حازم فشكّلوا طابور قتال . ووضع رجال الدقيقة أصابعهم على بنادقهم ونظروا اليهم مقطّبين وفجأة في مكان ما دوت طلقة . لم يعرف أحد ابدا من أي جانب انطلقت . وعلى الفور بدأ الجانبان في إطلاق النار . وسقط ثمانية من رجال الدقيقة وتفرق الآخرون وتقدم البريطانيون صوب كونكورد .

وفي هذا الوقت كان قد أسرع رجال الدقيقة صوب كونكورد من كل صوب وحذب ، وكانوا على استعداد لمواجهة البريطانيين . وبعد قتال عنيف طردوا ذوى الحلل الحمراء من القرية وطاردهم في طريق عودتهم الى بوسطن . والآن ، على طول الطريق يجيء المئات من أهل المستعمرات الغاضبين من منازلهم جريا ليشتبكوا في القتال . وكانوا يطلقون النار على الجنود من خلف المنازل ومخازن الغلال والصخور والأسوار الحجرية والأشجار وأكوام الخشب .

وظل البريطانيون طيلة ما بعد الظهر من ذلك اليوم الشمس
يتراجعون ، وكان الظلام قد أرخى سدوله حتى وصلوا بوسطن
أخيرا . وكان قد قتل وجرح من البريطانيين ما يقرب من ثلاثمائة
وكان هناك تسع وأربعون من اهل المستعمرات الأمريكيين قد
فدر عليهم الا يروا شروق الشمس بعد ذلك اليوم . كانت قد
بدأت حرب بين المستعمرات ووطنها الأصلي .





الفصل الثامن

وأخيرا أحرار

المزن ١٧٧٥ - ١٧٩٧

ظل الرسل العاجلون يجولون البلاد ليلا ونهارا ليحملوا الأخبار الى كل المستعمرات . وكان الهياج سائدا في كل مكان . وفي مئات المنازل أخذ الرجال يودعون أسرهم ويسرعون بالخروج للانضمام الى جيش أهل المستعمرات الغاضبين الذي كان يتجمع حول بوسطن .

وانعقد المؤتمر مرة أخرى في فيلاد ليفيا واختار جورج واشنطن ، الذي كان أحد أعضائه ، ليقود الجيش الصغير . ولكن حتى قبل أن يصل جورج واشنطن الى معسكرات الجيش كانت هناك معركة عنيفة ناشبة خارج بوسطن عند «بانكرهيل» . ومع أن رجال المستعمرات قد واجهوا البريطانيين بشجاعة فانهم انهزموا في هذه المعركة كما وجد الجنرال واشنطن أن جيشهم لم يكن في الحقيقة جيشا على الاطلاق .

كان الرجال يفتقرون الى البنادق والذخائر والطعام والخيام والملابس الرسمية ، وكانت تلزمهم شهور من التدريب ليتعلموا كيف يقاتلون معا ضد الجيش البريطاني الحسن التدريب .

واندفع جورج واشنطن الى العمل فورا . وما أن حل الربيع حتى بلغ جيشه من القوة ما يسمح له بطرد البريطانيين عن بوسطن ،

وابحر ذوو الحلل الحمراء ليمضوا بالحرب في مستعمرات أخرى ،
وسار واشنطن ورجاله جنوبا الى نيويورك .

وفي هذه الاثناء وصلت أنباء سيئة من انجلترا بان الملك جورج
الثالث قد أرسل اسطولا كبيرا من السفن الحربية . وكانت السفن
مليئة بالجنود منهم تسعة آلاف من الهيسيتي وهم جنود المان
استأجرهم الملك ليحاربوا أهل المستعمرات .

وعندما سمع الناس بأخبار الهيسيتي استنكروا ذلك وقالوا :
يا لله ! يستأجرون جنودا أجانب ليحاربوا مواطنيهم ! ماذا يدعوننا
اذن لان نقبل حكم مثل هذا الملك ؟

وكان الرجال من ذوى الالباب في كل هذه المستعمرات
يتساءلون الآن « لماذا يحكمنا ملك على الاطلاق ؟ » .

وأخذوا يقولون فيما بينهم : اذا انفصلنا عن انجلترا فاننا
نستطيع ان نحكم أنفسنا دون ملك يتدخل في شئوننا . نستطيع
ان نبني أمتنا نحن وفيها يستطيع الناس ان يعيشوا احرارا .

وأخذ الناس يناقشون هذه الفكرة بحرارة في قصور المزارع
الكبيرة ، ومساكن المزارع الصغيرة في نيوانجلاند وفي الاكواخ
انخشيية عند الحدود . وكان كثير من اهل المستعمرات يدينون
بالولاء للملك ، ولكن كان هناك أكثر منهم يريدون ان يحاربوا الى
ان يحصلوا على حريتهم .

وظلت الاجتماعات الطويلة تنعقد يوما بعد يوم في الكونجرس ،

وكان المندوبون عن كل مستعمرة يناقشون بحرارة خطة العمل .
واتفقوا في النهاية على أن تنفصل المستعمرات الثلاث عشرة عن
انجلترا وان تشكل حكومتها المستقلة .

واختير خمسة من رجال الكونجرس لوضع صيغة يعلنون بها
هذا الاستقلال على العالم وكان قد قام ثلاثة من هؤلاء الرجال
بمعظم العمل .

وكتب ذلك الرجل الطويل الأحمر الشعر توماس جيفرسون
مندوب فيرجينيا كلمات الاعلان بأسلوبه هو . أما بنجامين
فرانكلين العجوز الذي كان قد أمضى سنوات في انجلترا ، يحاول
انهاء النزاع حول الضرائب ، فانه أدخل تغييرا أو اثنين . وهكذا
فعل مندوب ماساشوستس الرجل المفكر جون آدامز .

وفي الرابع من شهر يوليو عام ١٧٧٦ تليت وثيقة اعلان
الاستقلال أمام الكونجرس ، وفي وقار أدلى الأعضاء بأصواتهم
موافقين . وأعدت منها نسخ على عجل وأرسلت الى كل مستعمرة ،
وبعد يومين ، تجمع جمهور كبير امام مبنى جميل في فيلادلفيا
اسمه « ستيت هاوس » ليستمعوا الى تلاوة الاعلان .

وما كان اهدأ الناس وهم يستمعون الى تلك الكلمات القوية
الأيية التي كتبها توماس جيفرسون !! وما كان اقوى هتافهم حين
استمعوا الى تلك الكلمات بينما الجرس الكبير فوق « ستيت
هاوس » يذق في سعادة وبهجة !!

ماذا قال اعلان الاستقلال ؟ قال ان الناس جميعا خلقوا
متساوين ، وان لهم جميعا حق الحياة والحرية والسعادة ، وان لهم
جميعا الحق فى أن يختاروا طريقة حكمهم ، وان المستعمرات
اثلاث عشرة هى الآن الولايات المتحدة الأمريكية الحرة المستقلة .

ولكن بالطبع لم تصبح الولايات حرة بعد . بل بدت
الأمور كأنها لن تصبح أبدا حرة . فان جيش جورج واشنطن
انصغر لم يكن كفتا على الاطلاق لمواجهة الجنود الذين كانوا
يصلون على ظهر السفن الحربية البريطانية . ومع أن الامريكيين
قاتلوا قتالا مريرا فان ذوى الحلل الحمراء والهيبيين قد طاردوهم
الى خارج « نيويورك » وعبر « نيو جيرسى » .

وكان قد جاء شهر ديسمبر حينما بلغ رجال الجنرال واشنطن
نهر « ديلاوير » عند مكان يبعد سبعة أميال عن قرية « ترنتون » .
وكان الهيسيون قريبين خلفهم . وأمر واشنطن رجاله بأن يأخذوا
أى قارب يجدونه وان يعبروا النهر بسرعة . ووصل الامريكيون
سالمين الى شاطئ ينسيفانيا وأقاموا معسكرهم .

ولم يكن الهيسيون يستطيعون ان يتبعوهم بلا قوارب ،
وهكذا استقروا فى ترنتون . وفى هذه الأثناء كان الامريكيون فى
كل مكان يشعرون بالقلق واليأس . وكان الجنود متعبين من القتال
وفقدان المعارك . وكان كثيرون منهم ينوون مغادرة الجيش فى
يوم رأس السنة حين تنتهى مدة خدمتهم . وحتى جورج واشنطن



نفسه كان مهموما مثقلا . حاول مرارا وتكرارا أن يفكر في خطة
تعين جنوده على الفوز في معركة . وفجأة خطرت له فكرة أفعمته
أملا وكان عليه أن ينتظر عيد الميلاد لينفذها .

وجاء عيد الميلاد . وفي ترتون احتفل الهيسيون بالعيد في
حفل رائع وكثير من شراب الروم وفي تلك الليلة أووا الى فراشهم
الدفء وناموا نوما عميقا .

ولكن رجال واشنطن لم يناموا . وفي عاصفة ثلجية عنيفة
تعمى الأبصار هبطوا الى قواربهم وعبروا نهر الديلاوير بمياهه
الداكنة المليئة بالثلوج ، ثم زحفوا بهدوء وسرعة تحت قيادة
واشنطن ، الى ترتون .

وعند طلوع النهار اندفعوا الى داخل القرية واسروا مايقرب

من تسعمائة من الهيسيين النائمين ، واستولوا على مدافعهم أيضا
وغيرها من المؤن التي كانوا في ميسس الحاجة اليها .

وكان هذا يوما عظيما للامريكيين كما انه اكسب الجنود
شجاعة جديدة . ولكن مع مرور الأشهر ، ظلوا يخسرون من
المعارك أكثر مما يكسبون . وفي موسم سقوط الأمطار دخل
البريطانيون فيلادلفيا منتصرين مع عزف الموسيقى والتلويح
بالاعلام لتمضية شهر الشتاء . وأقام الامريكيون معسكرهم
الشتوى عند « فالى فورج » على مبعدة عشرين ميلا .

وما كان افظع هذا الشتاء على الجيش الامريكى الصغير !
الريح القارسة البرودة تنفذ بصفيها من خلال شقوق الاكواخ
الخشبية التي يسكنها الجنود . ولم يستطع الكونجرس ان يبعث
انى جورج واشنطن بالأموال الكافية للحصول على التموين
فيبقى آلاف الرجال بلا أسرة ولاأغطية . وكثيرون منهم لم يكونوا
يلكون سترات وكانوا يربطون أقدامهم بالخرق البالية لافتقارهم
الى الأحذية . وكان الطعام شحيحا نادرا والدواء قليلا ضئيلا .
ومات أكثر من خمسمائة رجل ، وهجر الجيش ما يزيد عن ذلك
وعادوا الى بلادهم .

ولكن كان هناك مئات منهم ظلوا باقين . ومع أنهم كانوا
يعانون البرد الشديد والجوع القارص فقد كانوا مستعدين
مواصلة القتال الى أن تتحرر بلادهم . وكانوا الآن جميعا يحبون

الجنرال واشنطن الذى كان يشاطرهم مشقتهم ، ورفضوا مثل قائدهم العظيم ، أن يأسوا .

وكان الناس فى أوروبا فى هذه الأثناء يسمعون عن النضال الباسل الذى يشنه الامريكيون من أجل الحرية . وعبر المحيط نبيل فرنسى شاب اسمه لافاييت ليحارب مع الجنود الامريكيين .

وكان هناك ضابط ألمانى يقوم بتدريب الجنود فى فالى فورج ليصبحوا جنودا اكثر مهارة .

وجاء مهندس عظيم من بولندا لمعاونة الجنرال واشنطن . وفى نفس الوقت كان بينامين فرانكلين فى فرنسا يعمل جادا لاقناع فرنسا بإرسال المساعدة الى الامريكيين .

وفى يوم بديع من أيام شهر مايو كان حملة الانباء يركضون فى ربوع البلاد بأخبار سارة :

« فرنسا ستساعدنا . الفرنسيون يرسلون الرجال والسفن والاموال ! سيساعدوننا على طرد الهيسيين وذوى الحلل الحمراء من بلادنا ! » .

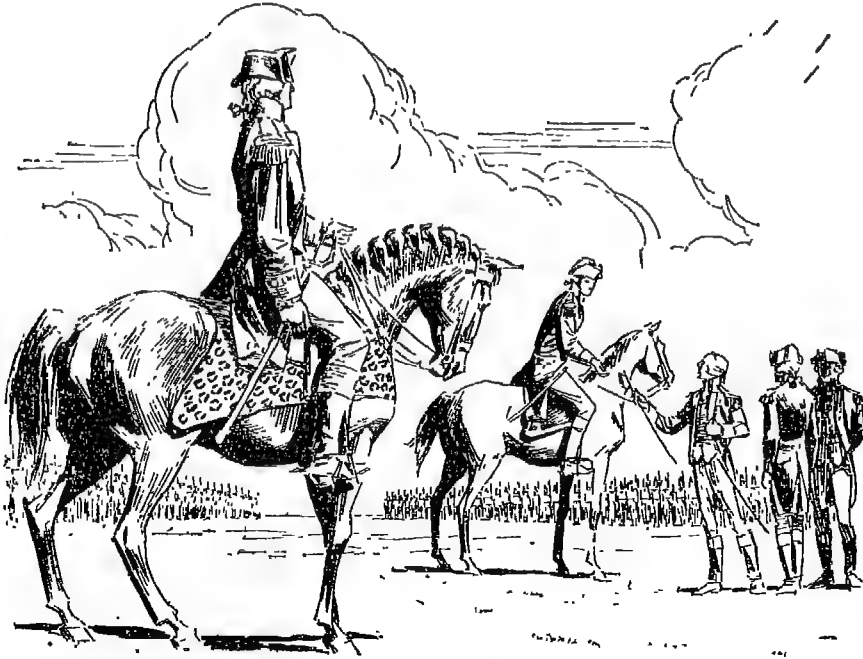
وهلل الرجال وبكت النساء من الفرحه . وفى « فالى فورج » احتفل الجنود احتفالا خاصا .

انفرج كرب الامريكيين وقالوا لأنفسهم « والآن سريعا ما تنتهى الحرب » .

ولكن الحرب استمرت وتلكأت ثلاثة أعوام أخرى . وقامت

معارك كبيرة في الشمال والجنوب بل ونشب القتال حتى في البراري الواقعة فيما وراء جبال الألباني ، وفي أثناء هذا الوقت بدأت احوال الامريكيين تتحسن . وأخيرا تمكن جيش جورج واشنطن هو والامريكيين من نصب فخ وقع فيه قائد انجليزى مهم اسمه كورنواليس وثمانية آلاف من ذوى الحلل الحمراء ، في يوركتون بفيرجينيا .

ودوت المدافع وانفجرت القنابل فأثارت السماء بينما كان الامريكيون والفرنسيون يهاجمون البلاد . وظل البريطانيون يحاربون بسالة عشرة ايام بلياليها . ثم اضطر الجنرال كورنواليس وجيشه من ذوى الحلل الحمراء الى التسليم . وخرجوا في حزن من يوركتون وسلموا مدافعهم بينما كانت موسيقاهم تعزف مقطوعة « الدنيا انقلب حالها » ، « النصر ! النصر العظيم في يوركتون ! » .



وسرى النبأ السعيد بسرعة وعمت الاحتفالات الكبيرة في كل
أحاء البلاد . ان الحرب الثورية الفطبعة قد انتهت تقريبا . لم تعد
منالك معارك كبيرة . وفي غضون عامين كان قد رحل كل الهيسيين
ودوو الحلل الحمراء عائددين الى أوطانهم . وفي عام ١٧٨٣ وقعت
الجلترا معاهدة سلام .

وأصبحت الولايات الثلاث عشرة حرة في النهاية ولكنها لم
تكن أصبحت متحدة فعلا . كانت كل ولاية تعمل كما كانت بلدا
مستقلا ، وكانت كلها تتعارك معا كالصبية المشاكسين حول مسائل
النرائب والأراضى وغيرها .

وقال الحكماء من أهل البلاد « ينبغي أن تكون لدينا
مجموعة من القوانين تحكم كل الولايات والا فستتمزق هذه
الأمة » . وهكذا اجتمع الزعماء من كل ولاية ووضعوا دستور
الولايات المتحدة .

وبعد ذلك انتخب الأمريكيون أول رئيس لجمهوريتهم ، انتخبوا
الرجل الذى قادهم بهذا الحزم وتلك الشجاعة أثناء نضالهم الطويل
في سبيل الحرية ، الرجل الذى لم يفقد شجاعته ابدا في أحلك أيام
الحرب ، الرجل الذى سموه « أبا بلاده » . كان هذا الرجل هو
جورج واشنطن .

وظل الرئيس جورج واشنطن يعمل مع الكونجرس في حكم
البلاد بحكمة جعلتهم ينتخبونه للمرة الثانية ، ولكن عندما أراد

الامريكيون أن يرأس البلاد فترة ثلاثة رفض هو ذلك ، وقال انه
يخشى من أن أى رجل يرأس بلاده مدة طويلة قد يشعر بالرغبة
فى أن يصبح ملكا .

وعندئذ انتخب جون آدامز ليحل محله وعاد جورج واشنطن
الى موطنه فى « ماونت فرنون » ليقضى بقية حياته فى سلام .



الفصل التاسع

أوه ، هل تستطيع أن ترى ؟

(الزمن ١٧٩٧ - ١٨١٥)

بعد الحرب الثورية أصبحت الأرض الممتدة ناحية الغرب الى نهر المسيسيبي جزءا من الولايات المتحدة بعد أن كانت تابعة لانجلترا . وكان معظم هذه الأراضي تربة طيبة خصبة تكاد الحبوب تنبت فيها تحت بصر الانسان ، وكانت الغابات مليئة بحيوانات الصيد . فقرر مئات الناس الذين كانوا يجدون مشقة في العيش في النرق ، أن يرحلوا اليها .

وأخذ هؤلاء يشقون طريقهم الوعرة عبر الأليجاني ، فكانوا يجيئون على الأقدام وعلى ظهور الخيل ، وفي العربات الكبيرة ذات السقوف الزرقاء . وسار بعضهم في الطريق الذي شقه « دانييل بون » الطريق المسمى طريق البراري ، ثم استقروا في كنتاكي وذهب آخرون الى بيتسبرج حيث استقلوا عائمة والألواح الطافية هبطوا عليها مع مياه نهر الأوهايو العريض .

وكان الهنود يعرفون ان هذه الأراضي التي كانوا يصطادون فيها سيصيبها التلف والدمار فكرهوا مجيء الرجل الأبيض . فكانوا يزحفون بين الأعشاب ثم ينقضون على معسكرات الرحالة في الغابات أو يختبئون وراء النباتات السنطية ويكمنون للقوارب التي تأتي عائمة على صفحة النهر ، أو يسترقون ليلا ويهاجمون المحلات الصغيرة .

وفي النهاية أرسلت حكومة الولايات المتحدة الجنود الى ما وراء جبال الأليجاني لحماية المستوطنين وعند ذلك أخذ الكثيرون يتجهون غربا في أعماق البرارى والبعض منهم ليكتشف المجهول والبعض ليقيم موطننا . واتخذت الولايات المتحدة الآن عاصمة جديدة سميت باسم جورج واشنطن . وانتخب الامريكيون ثالث رئيس لهم هو توماس جيفرسون .

وكان رجلا حكيما يريد لبلاده أن تنمو . وفي عام ١٨٠٣ أعد الأمر لكى يشتري الكونجرس رقعة أرض كبيرة من فرنسا تمتد من نهر المسيسيبى كل تلك المساحة الى جبال الروكى ، وفي كندا الى تكساس جنوبا ، فجعلت هذه المساحة الولايات المتحدة في ضعف حجمها السابق .

ولم يكن أحد طبعا يعرف كثيرا عن اقليم لويزيانا هذا . لذا طلب الرئيس جيفرسون من ضابطين شابين من ضباط الجيش وهما « كميرونيتير لويس » و « ويليام كلارك » أن يقوما باكتشاف هذه المنطقة . فبدأ بنهر الميسورى الواسع وفي صحبتيهما اثنان وثلاثون رجلا ومعهم ثلاثة قوارب صغيرة محملة بالمؤن . ومر أكثر من عامين دون أن يعودوا ، ثم ما كان أروع القصص التى عادوا بها !

لقد شقوا طريقهم عبر منطقة برية شاسعة ساروا فيها بجذاء أنهار مندفة المياه ، واخترقوا مرات جبلية عميقة حتى وصلوا

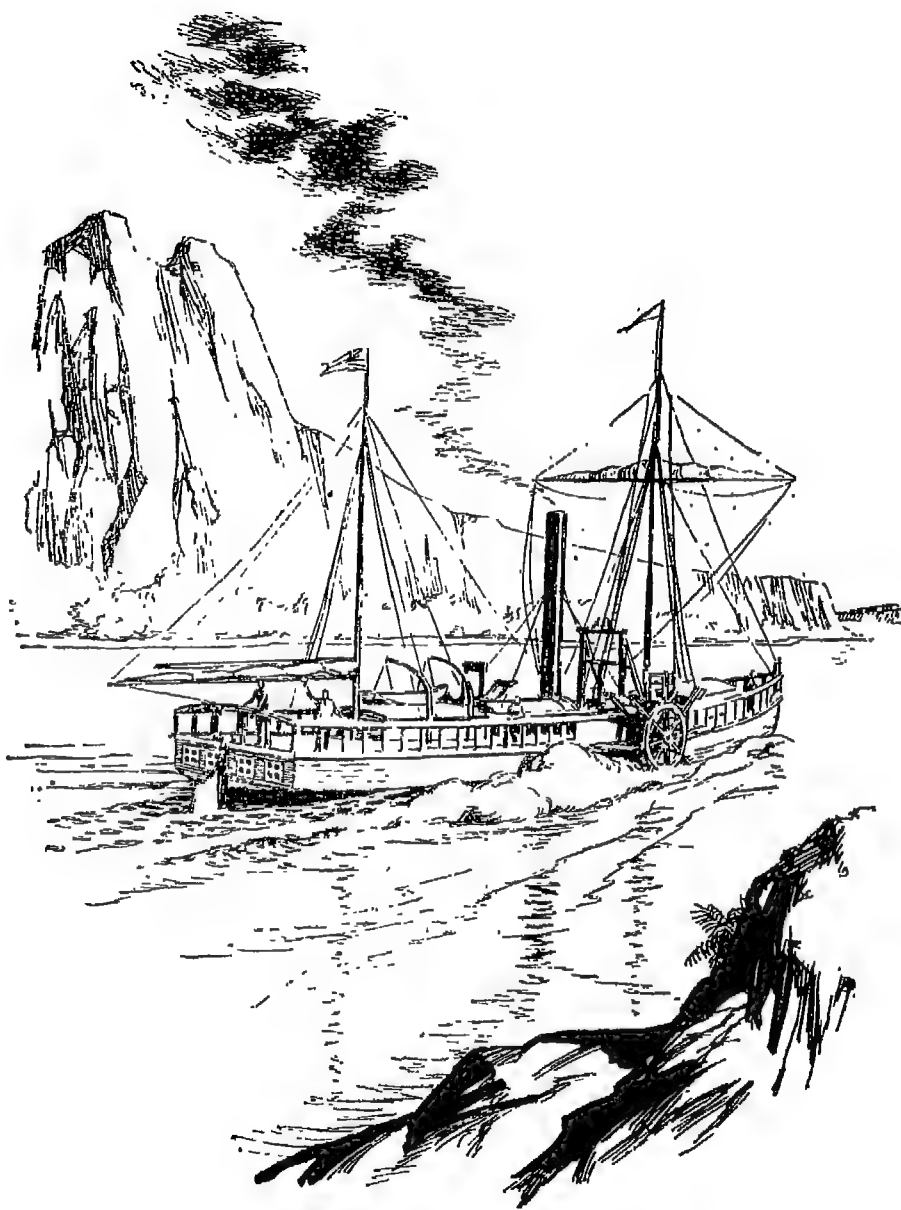


الى المحيط الهادى الكبير والتقوا بقبائل هندية غريبة ، مسالمة ومعادية ، وشهدوا مستعمرات كبيرة تجول فيها حيوانات ذات انفراء وقطعانا ضخمة من الجاموس البرى ، والأبقار الوحشية ، والأيل ، ونجوا بحياتهم من براثن الدببة المفترسة التى يبلغ ارتفاع الواحد منها عشرة أقدام عندما تنهض على رجليها الخلفيتين .

وأخبر لويس وكلاارك الرئيس جيفرسون أن البلاد التى قاموا باكتشافها منطقة رائعة لتجار الفراء . وما لبث عشرات الرجال أن اندفعوا يشقون طريقهم غربى المسيسيبى ومعهم البنادق والفخاخ والجياد المحملة بالمتاع والبضائع للتجارة مع الهنود .

وكان الأمريكيون ينتشرون الآن فى كل الاتجاهات . وكانوا يقيمون البلدان والقرى الجديدة ويبنون المدارس والكنائس ويصدرون الجرائد والكتب ويشقون المزيد من الطرق .

الا أن النقل والتنقل بين جزء من البلاد وجزء آخر كان ما يزال عملا صعبا محفوفًا بالمخاطر . وأحيانا ما كانت عربات المسافرين أثناء اسراعها فى السير تمر فى طرق مليئة بالحفر والأحجار . كما كانت عربات النقل الضخمة من النوع المسمى « كونيستوجا » كثيرا ما تنغرس فى الأوحال . أما القوارب المسطحة والألواح الخشبية الطافية فكان يمكنها أن تسير فى الأنهار بقوة التيار ، محملة بالحبوب واللحوم والفراء ، فى اتجاه المصببات فقط لا المنايع .



وعند ذلك ابتكر روبرت فولتن القارب البخارى !

وفى يوم حار من أيام أغسطس من عام ١٨٠٧ ، وفى نيويورك ،
تجمع الرجال والنساء والأطفال عند مرسى على نهر الهلاسون
ليحملقوا مشدوهين الى ذلك القارب الغريب الشكل .

وكان الواحد منهم يقول للآخر فى عجب « بدون مجاديف !
لا شىء سوى تلك الآلة الغريبة على السطح وهذه العجلات على
الجانبين . كلا ! لن يمكنها أبدا أن تسير ! » ولكن هذا القارب ،
واسمه « كليرمونت » قد سار فعلا . لقد نفخ واهتز وارتج ثم
رحل فى ببطء عن المرسى ، ثم مخر فى كبرياء بقوة البخار ، صاعدا
نهر الهلاسون وهو يرسل شرارات وسحبا من الدخان الأسود .

وأخذ الرجال يلقون بقباعاتهم فى الهواء ويهتفون ، وجعلت
انساء تلوح بالمناديل وتحاول السيطرة على الاطفال الذين أخذهم
العجب والاعجاب . ها هو ذا قارب يمخر المياه بقوة البخار !
وقارب يستطيع أن يصعد النهر بنفس السرعة التى يهبط بها
تقريبا .

وفى خلال بضعة أعوام كانت القوارب تقوم برحلات منتظمة
فى نهر الهلاسون تحمل الركاب والبضائع ، وعلى ضفاف نهر
المسيبى كان الهنود يفرون فزعين خائفين لمرأى هذا المارد الذى
يسير فى الماء وهو ينفث النار والدخان .

وفى هذا الوقت كان الأمريكيون واقعين فى مشاكل مع انجلترا

من جديد ذلك أن انجلترا كانت في حاجة الى رجال للأسطول ،
 فكان القباطنة الانجليز يوقفون السفن الأمريكية في البحر
 ويختطفون البحارة الأمريكيين .

ومن الطبيعي أن الأمريكيين ما كانوا ليحتملوا هذا الأمر ،
 ولذلك نشب عراك بين البلدين ما لبث أن تطور فأصبح حربا
 سميت حرب عام ١٩١٢ . وفي هذه الحرب ، فاز الأسطول الأمريكي
 الصغير بعدة انتصارات . لكن الجيش لم يستطع أن يوقف
 الجيوش الانجليزية التي هبطت الى البر عند خليج تشيزابيك
 فزحفت شمالا ودخلت واشنطن .

وهناك أحرق البريطانيون الكايتول ، وهو مقر رئيس
 الجمهورية ، وعدة أبنية أخرى . ثم عادوا بعد ذلك الى سفنهم ،
 وأبحروا مسافة أخرى في الخليج ، ثم هاجموا قلعة ماك هنري
 الواقعة خارج بالتيمور مباشرة .

وكان مع البريطانيين سجين أمريكي اسمه فرانسيس سكوت
 كاي . وعندما بدأت المدافع البريطانية تقذف القلعة بالقنابل نظر
 هو الى العلم الأمريكي الجميل - المرفرف عاليا فوقها ، وتساءل
 اذا كان هذا العلم سيظل في مكانه الى أن تنتهي المعركة ، أم أن
 انقلعة ستقع في الأسر وينزل هذا العلم ذو النجوم والشرائط .

وظلت النيران تنطلق الى ساعة متأخرة من الليل وعلى ضوء
 القنابل المنفجرة وجمرة وميض القذائف كان مستر كاي يلمح ،

مرة بعد أخرى ، قيسا من العلم ما يزال مرفرفا في الهواء . وأخيرا
توقفت القنابل . هل استسلم الأمريكيون ؟ الا يزال العلم
مرفرفا ؟ ولم يستطع مستر كاي أن يعرف حتى الفجر .

وفي قلق ونفاد صبر أخذ يذرع سطح السفينة ينتظر طلوع
ضوء النهار . وحينذاك بدأت تنتظم في ذهنه كلمات :

أوه ، هل تستطيع أن ترى !

في ضوء الفجر المبكر

هذا الذي رفعناه في كبرياء

وأسرعت الكلمات تندفق الى ذهنه وهو يحاول أن يتذكرها ،
وفي ببطء أخذت السماء تزداد ضياء ونورا ناحية الشرق ، وجعل
هو يراقب القلعة في قلق باحثا عن العلم ، وفجأة رآه - وقد
مزقته إحدى الطلقات ولكنه ما زال يرفرف .

والعلم المزين بالنجوم منتصرا ،

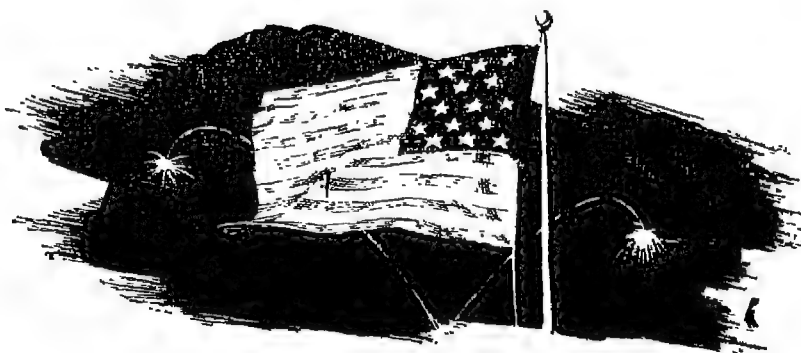
سيرفرف على أرض الأحرار ، ووطن الشجعان .

وأخرج من جيبه قلما ومظروفا وأخذ يخط بسرعة تلك الأشعار
التي جاءت في الليل ، وبعد ذلك حين غادر البريطانيون المهزومون
بالتيمور لحنت الكلمات على أنغام أغنية انجليزية قديمة . وما لبث
'الأمريكيون في جميع أنحاء البلاد أن أخذوا يغنون في فخر
« العلم المزين بالنجوم » تماما كما يغنيه اليوم كل أمريكي يشعر
بالفخر والعزة .

ان الحرب التى أعطتنا هذا النشيد كانت حربا لم يرغب فيها
الناس فى أمريكا ولا إنجلترا . ففى ذلك كان الناس هنا وهناك
قد أتعبهم القتال ولم يعد أمامهم غير معركة واحدة كبيرة .

فبعد مرور ثلاثة أشهر على إبحار البريطانيين من بالتيمور
هبط الى البر عند « نيو أورليانز » عشرة آلاف جندي من ذوى
الحلل الحمراء . وهناك كان فى انتظارهم قائد شجاع اسمه آندرو
جاكسون ومعه جيش من الهنود المحاربين والصيادين والكشافين .
وأخذ رجال جاكسون يطلقون النار من خلف بالات القطن
والجدران فقتلوا المئات من ذوى الحلل الحمراء وطاردوا الآخرين
حتى عادوا الى سفنهم .

ولو كانت هناك وسيلة سريعة لحمل الأنباء من إنجلترا الى
أمريكا لما نشبت معركة نيو أورليانز على الإطلاق ، اذ تم التوقيع
على معاهدة سلام منذ أسبوعين فى أوروبا ، وكانت حرب عام
١٨١٢ قد انتهت ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الولايات المتحدة
وانجلترا صديقتين حميمتين .



الفصل العاشر

فترة كبيرة حافلة بالتغيرات

(الزمن ١٨١٣ - ١٨٤٠)

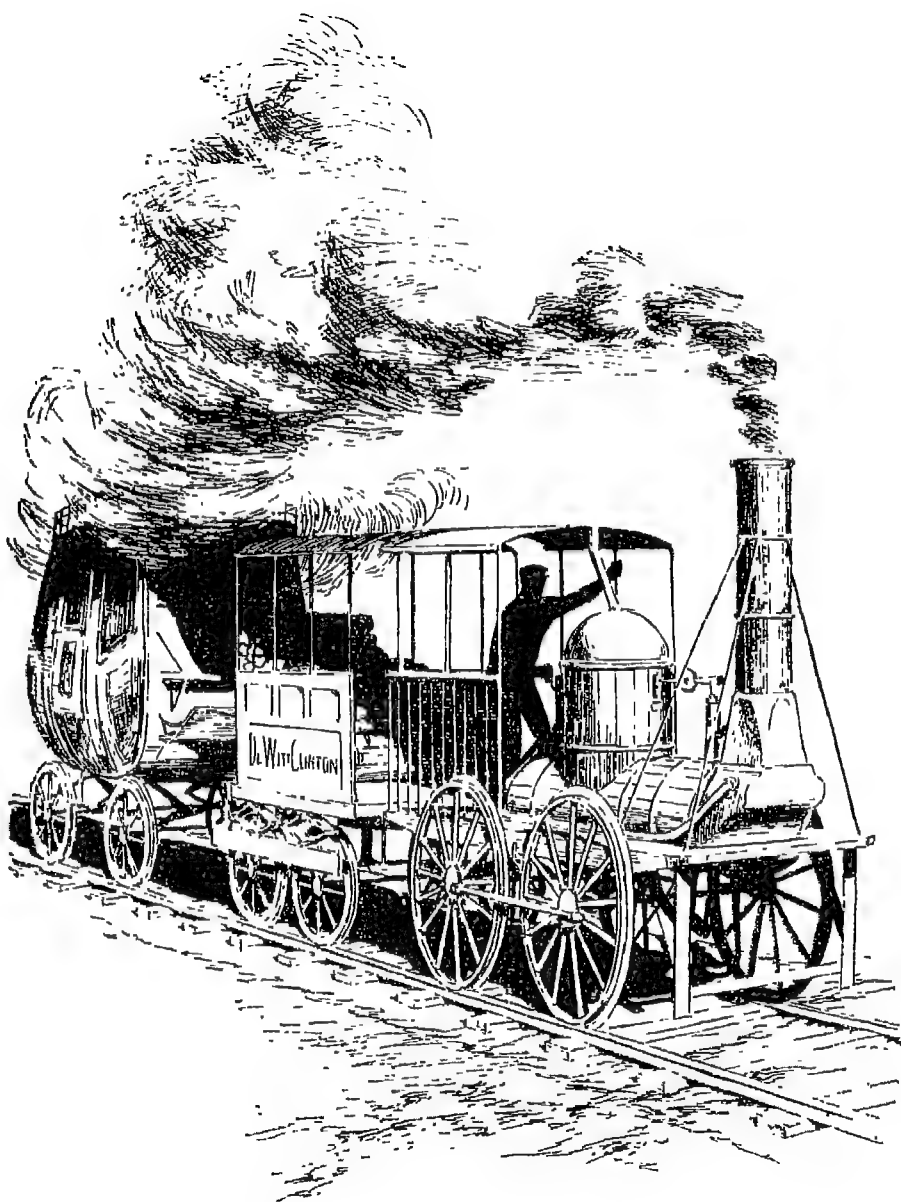
ان البلاد تتغير وتنمو ، كالأطفال تماما . وعندما ولدت الولايات المتحدة كانت في حاجة الى معونة فرنسا قبل أن تحصل على حريتها من انجلترا . وكانت هناك خمس ولايات جديدة قد اتحدت مع شقيقاتها قبل حرب ١٨١٣ . والآن ، ومع أن البلاد كانت ما تزال يافعة شابة ، فقد أثبتت للعالم أنها تستطيع أن تخوض معاركها وأن تحفظ علمها خفاقا .

وكان الأمريكيون فخورين بهذا ولكنهم لم يضيعوا وقتا طويلا في التفكير في ذلك . بل كانوا مشغولين بشق طرق جديدة واقامة بلاد جديدة واكتشاف طرق جديدة للسفر .

وحتى في أثناء الحرب كان هناك رجال استأجرتهم الحكومة ، يقومون بشق طريق عبر الجبال من ماري لاند الى اوهايو . وبعد انتهاء الحرب بوقت قصير بدأ الناس في ولاية نيويورك يشقون قناة عبر ولايتهم تربط الشرق بالغرب .

وبعد ثمانية أعوام من العمل الشاق انتهى انشاء قناة « ايرى » الكبيرة .

وكانت القناة الكبيرة تمتد ، مليئة بالمياه المتدفقة ، من « أكباني » الواقعة على نهر الهدسون الى « بافالو » على بحيرة « ايرى » . وكانت أطول قناة في العالم ومن أكثرها حركة .



ومنذ طلوع النهار الى سدول الظلام كانت الجياد والبغال تسير على جانبيها تجر القوارب ذات الألوان البهيجة مليئة بالمسافرين أو القوارب الصارمة الهيئة من حاملات البضائع . كان الفلاحون يرسلون بضائعهم الى الأسواق عن طريق القناة . كنا رحل المئات من المستوطنين صوب الغرب ، عن طريق القناة ، اتخذوا لأنفسهم أوطانا في البرية الواقعة حول البحيرات الكبيرة ، ونوقف آخرون على شواطئ القناة حيث أقاموا قرى وبلدانا .

لقد كان السفر بطريق القناة وسيلة رخيصة مأمونة يسيرة للذهاب صوب الغرب أو الشرق . ومع ذلك وقبل أن تمر ستة أموام على شق القناة ، كان الأمريكيون يتحدثون عن طريقة للسفر أفضل منها .

وكان المخترعون ، في أمريكا وإنجلترا يحاولون منذ بعض الوقت أن يصنعوا آلة بخارية يمكنها أن تجر عربات على قضبان . وفي « بالتيمور » ذات صباح مشمس من شهر أغسطس من عام ١٨٢٧ ، كانت هناك قاطرة صغيرة سميت « توم ثم » مستعدة للتجربة .

وجاء الناس من مسافات بعيدة يشهدونها . وشد ما هتفوا حين تحركت هذه القاطرة الصغيرة ! وراحت تخترق البلاد ، فوق ثلاثة عشر ميلا من القضبان تجر وراءها عربتين صغيرتين استقلتهما حفنة من الركاب السعداء .

وفي العام التالي مباشرة جربت في « اكبانى » قاطرة أكبر منها اسمها « دى ويت كلينتون » . وما لبثت القطارات أن أخذت تذرع المسافات القصيرة في أنحاء أخرى من البلاد .

وكانت هذه القطارات تتأرجح في سيرها وتندفع ، وغالبا ما كانت تتوقف فجأة فتلقى بركابها من فوق مقاعدهم . وكانت الشرارات المنطلقة من القطارات تشعل النار في ملابس الركاب ، وأحيانا ما كانت العربات نفسها تخرج عن القضبان . ومع ذلك كان الأمريكيون يريدون المزيد من السكك الحديدية ، بكل ما يستطيعون من سرعة ، والمزيد من القنوات أيضا .

وكان شق القنوات والطرق يحتاج الى آلاف العمال ، وكان كثير منهم يأتون من أوروبا ، فكانت السفن الشراعية الكبيرة تعبر المحيط أسبوعا بعد أسبوع تحمل المهاجرين من أيرلندا وألمانيا وإنجلترا .

وكان بعض هؤلاء يذهبون غربا حيث يعاونون في انشاء ولايات « أوهايو » و « انديانا » و « ميتشيجان » و « ايللينوى » . ووجد الآخرون أعمالا في المدن الشرقية ، وعمل الكثيرون في مصانع القماش الجديدة في « نيوانجلاند » .

كانت حياة الناس في الشمال تزدد سهولة فكان للمزارعين مخاريط من الحديد تحطم سطح التربة العشبى أسرع مماستطيع المحاريط الخشبية . ولم يعودوا الآن مضطرين الى تمضية ليالى

الشتاء يصنعون بأيديهم المسامير ومايشبهها . وماعدت زوجاتهم مضطرات الى القيام بأعمال الغزل والنسج اذ يمكنهم الآن الحصول على القماش والمسامير من المتاجر . وكذلك القبعات والأحذية واشياء أخرى كثيرة كانت تصنع من قبل في المنازل . وحتى في قرى انطليعة في المناطق البعيدة غربا مثل ايللينوى كانت توجد المتاجر حيث تباع مثل هذه الأشياء .

وفي محلة نيو سالم بولاية ايللينوى كان يدير واحدا من هذه المتاجر شخص طويل القامة ، نحيف أشعث الشعر اسمه ابراهام لنكولن . وكان شابا قويا ، شريفا ، شجاعا ، دائم الاستعداد لمعاونة من يقع في الضيق . وكان شديد المرح أيضا . وكان الناس يتولون انه يستطيع أن يضحك القط نفسه بالقصص التي كان يرويها وهو يقيس أمتار القماش ويزن السكر والبن والنساي لمسلاته .

ولد ابراهام لنكولن في كوخ خشبي في كنتاكي . وعندما كان في السابعة عبرت أسرته نهر الأوهايو وأقامت في بلاد الهندود الفطرية ثم تغلغت غربا بعد ذلك الى ايللينوى .

ولم يستطع الصبي ابراهام لنكولن أن يبقى ابدا وقتا طويلا في المدرسة . واعتاد ، الآن ، كلما فرغ من عمله في المتجر ، أن يدرس أنه بين صفحات كتاب ، ذلك انه كان مصمما أن يتعلم بنفسه جيدا . وكان يدرس على يد ناظر مدرسة نيو سالم كلما

أمكنه ذلك . بل انه كان يقف في بعض الأحيان امام مدرسة القرية
يصغى الى التلاميذ وهم يلقون دروسهم التي حفظوها - ليتأكد
من أنه قد تعلم كل ما يعرفون .

وفي هذه الاثناء كان قد ازداد عدد الصبية الذين يذهبون الى
المدرسة ، في الشمال بسبب ازدياد عدد المدارس المجانية . ولكن
كان ما يزال كثير من الصبيان يمضون وقتهم في مساعدة آبائهم
أو في تعلم الحرف ، وكان كثير من البنات يعملن في الحقول أو
المطاحن .

وفي الجنوب لم تكن قد أنشئت بعد مدارس مجانية ولا انتشرت
المطاحن والمصانع .

كان الجنوب ما يزال في الحقيقة منطقة مزارع كبيرة وصغيرة ،
يررع القطن في معظمها .

وكان رجل اسمه « ايلي ويتنى » قد اخترع « مذراة » آلية
بستطيع العبد أن يستعملها فينظف بذور القطن في وقت أسرع
مائة مرة من التنظيف اليدوى . وكان معنى هذا زيادة مقدار
القطن المعد للتصدير بالسفن الى الأسواق . فزادت محاصيل
القطن وزاد بالتالى عدد العبيد الذين جلبهم أصحاب المزارع .

واذ تضعف زراعة القطن من خصوبة التربة بسرعة فقد اضطر
كثير من المزارعين الى الانتقال الى أراضى جديدة . فكانوا يصحبون
أسرهم وعبيدهم ويذهبون الى تكساس أو يقيمون في

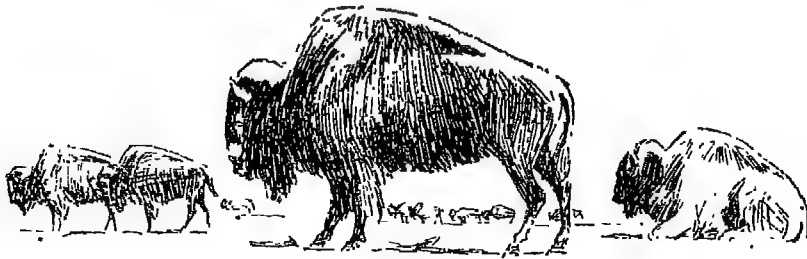
« آركانساس » أو « ميسوري » ، ولم يتوغلوا غربا أبعد من هذا ، اذ كانت هناك منطقة « السهول العظمى » تمتد وراء هذه الولايات شمالا الى كندا والى جبال الروكى غربا ، وكانت هذه بلاد الهنود .

وهناك كانت تسرح قطعان الجاموس البرى فى البرارى فيصطادها أهل القبائل القوية المعروفة باسم « الكومانش » و « الشين » و « الكراو » و « السيو » ، وهناك أيضا كانت تقطن القبائل الهندية التى طردها البيض من الولايات الشرقية .

ولم يكن هؤلاء الهنود يريدون أن يرحلوا وحارب بعضهم حربا عنيفة دفاعا عن مزارعهم وقراهم ، ولكن حكومة الولايات المتحدة أخذت تضطر هذه القبائل واحدة بعد الأخرى ، الى بيع أراضيها أو التخلي عنها ، والانتقال غربا الى منطقة « السهول العظمى » .

وقيل للهنود « هذه الآن بلادكم . لن يقيم هنا رجل أبيض . وستكون هذه الأرض ملككم أتمم والهنود الغربيين الى الأبد » .

ولكن الرجال البيض كانوا يشقون بالفعل طرقا كبيرة عبر « السهول العظمى » .





الفصل الحادى عشر

أسرع !! أسرع !!

(الزمن ١٨٤٠ - ١٨٦٠)

كان واحد من هذه الطرق الكبيرة التى تخترق منطقة السهول العظمى يمتد من بلدة الحدود « أندينانس » ، فى « ميسورى » الى « اوريجون » الواقعة على بعد ألفى ميل . وكان ناصبو الفخاخ والتجار قد قاموا باستكشاف هذه البلاد البرية الجميلة . وكان المبشرون قد رحلوا الى هناك لتعريف الهنود باله الرجال البيض .

وكان هناك مئات من الأمريكين يرغبون الآن فى الإقامة فى تلك البلاد ولكن لم يكن يجرؤ على المجاورة على هذه الرحلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر ، الا ذوو الشجاعة الفائقة .

وذات صباح فى فصل الربيع من عام ١٨٤٣ خرج ما يقرب من ألف شخص لارتياح طريق البرارى هذا ، فى قافلة طويلة من العربات المغطاة السقوف . وتقدم الكشافون أول عربة فى القافلة يستطلعون وجود الهنود وقطعان الجاموس الوحشى ، بينما سارت وراء العربات مئات من قطعان الماشية والأغنام ومن حولها الحراس على ظهور الجياد لمنعها من الشرود .

وكانت هذه العربات تجرها الثيران فكانت تسير سيرا بطيئا . وكان الرجال يسيرون الى جانب قطعانهم فتسمع أصواتهم بين

الحين والحين وهم يزجرونها أو يستحثونها أو يقرعون في الهواء
بسياطهم الطويلة . أما النساء فكن ييقن تحت سقوف العربات
مع الأطفال أو يسنن ببطء الى جانب العجلات .

وكانوا يتوقفون جميعا عند غروب الشمس فيقيمون معسكرا
للبيوت ... فتضم العربات في دائرتين كبيرتين وتفيد عجلات كل
عربة بعجلات العربة المجاورة فتكون هكذا نوعا من المتاريس
القوية . وتوقد النار داخل الدائرتين . وتقوم النساء بطهي طعام
العشاء .

ويطلق سراح الثيران خارج المتاريس فترعى اكلا مع الخيول
والماشية ، وكان يتم اختيار بعض الرجال لمراقبتها بينما يتولى
آخرون حراسة المعسكرات الى الفجر . وفي الساعة السابعة من
صباح كل يوم يستأنف التجار رحلتهم من جديد .

وظلوا يتوغلون غربا يوم بعد يوم يقطعون أميالا من أرض
البرارى .. ويعبرون أنهارا واسعة ويخترقون ممرات جبلية عميقة.
وكانوا غالبا ما يجلسون في الليل يروون القصص أو يغنون معا
تحت نجوم السماء بينما يعزف أحدهم على مزماره . وأحيانا
ما كان يتردد في الفضاء عواء الذئاب من بعيد .

وكان الهنود ، أثناء هذه الرحلة ، يزحفون على المعسكرات
فيقتلون الماشية ويسرقون الجياد . وكان من الناس من تصييه
انجراح أو الأمراض . ومات بعضهم ودفن على جانب الطريق .

وكانت بعض هذه العربات تتحطم تحت أثقالها ، والثيران المجهدة تسقط أعياء . ولكن هؤلاء الرواد كانوا يهبون دائما لمساعدة بعضهم بعضا . وذات يوم سعيد ، بعد خمسة شهور من الرحيل والانتقال ، بلغوا وادى « ويلاميت » فى أوريجون حيث قرروا أن يقيموا موطننا .

وتبعهم مستوطنون آخرون . وبمرور الأعوام أخذت مئات من هذه العربات ذات السقوف البيضاء تقطع نفس الطريق .

وفى نفس الوقت كانت جماعة من الأمريكيين ممن يطلقون على أنفسهم اسم « مورمون » يشقون طريقا طويلا آخر نحو العرب بعد أن طردوا من ديارهم فى الشرق بسبب ديانتهم . فخرجوا ، مثل طائفة « الحجاج » يبحثون عن مكان يستطيعون فيه أن يتعبدوا على طريقتهم .

ولاقوا مصاعب كثيرة حتى وصلوا فى النهاية الى بحيرة « جريفت سولت » فى يوتا . وأسرعوا يعملون فأخذوا يروون الأرض الجافة ويزرعون فيها الحبوب . وشقت الطرق الواسعة ولم يمض وقت طويل حتى شيد « المورمون » مدينة وسط الصحراء الغريبة الشاسعة .

والى جنوب طريق المورمون يمتد طريق آخر أقدم منه يبدأ عند « أندبندانس » وينتهى ببلدة « ساتافى » المكسيكية . وكان التجار قد انهكوا هذا الطريق واذا كان يمر بمنطقة تجول فيها

قبائل « الكومانش » و « الآباش » الشرسين فقد كان التجار يقومون برحلاتهم في قوافل طويلة .

وكانت تلك العربات الكبيرة المغطاة تحمل بالمكابس والجبال والدخان والعدد ، والأرز ، والشاي ، وقطع القماش وغيرها . وكانوا يبيعونها الى المسالين من المكسيكيين ذوى العيون الداكنة ، أو يبادلونها بالفراء الثمين . وفجأة توقفت هذه التجارة السلمية اذ دخلت الولايات المتحدة في حرب مع المكسيك .

كانت حربا قصيرة الأمد وانتصر فيها الأمريكيون . وبانتهائها أصبحت كل الأراضي المكسيكية المعروفة باسم كاليفورنيا جزءا من الولايات المتحدة .

وكان كثير من الأمريكيين يعيشون في كاليفورنيا فعلا . ولم تكد تنتهى الحرب حتى وقع أحدهم على اكتشاف مثير . وأصبحت قرية سان فرانسيسكو في يوم من أيام الخريف في عام ١٨٤٨ تموج كلها بنبا هذا الاكتشاف .

ذهب ! ذهب ! هكذا كان الناس يصيحون لبعضهم البعض وهم يتجمعون في طرق القرية الموحلة ، ويقولون لبعضهم البعض هل سمعت الخبر ؟ لقد عثروا على ذهب عند « سارترز ميل » على نهر « الأميركان » .

ذهب ! ذهب !

واقبلت القرية كلها ظهرا على عقب وأخذ الرجال يختطفون



فئوسهم ومعاولهم ويقفزون الى ظهور جيادهم وينطلقون صوب
« سارترز ميل » التي تبعد ما يقرب من مائة ميل .

ذهب ! اكتشف الذهب في كاليفورنيا !

وانتشرت القصة في أرجاء البلاد كما تندلع النار في الهشيم .
وكان الرجال يسمعون النبأ أو يقرأون عنه فيتركون ما في أيديهم
ويهرعون الى كاليفورنيا في طمع وجشع .

وكان بعضهم يستقل القطار من سانت لويس ثم العربة المغطاة

فيعبرون بها منطقة السهول العظيمة ، بينما ذهب الآخرون بالقوارب الى مضيق بناما ، ثم عبروا المضيق على أقدمهم مخترقين غابة تضج بصياح القروذ والبيغاوات حتى بلغوا الشاطئ الغربى. وهناك توقفوا آملين أن تقلهم سفينة ميممة صوب « سان فرانسيسكو » ، بينما أبحر مئات من هؤلاء الباحثين عن الذهب بسفن سريعة دارت بهم حول « كيب هورن » الواقعة على طرف أمريكا الجنوبية ثم بمحاذاة ساحل المحيط الهادى الطويل .

تدفق الناس من كل ولاية من ولايات الاتحاد ، بل من بلاد أجنبية صوب حقول الذهب الحديثة الاكتشاف .. حتى بدا فى الحقيقة أن نصف العالم يغنى معا هذه الأغنية المشتركة :

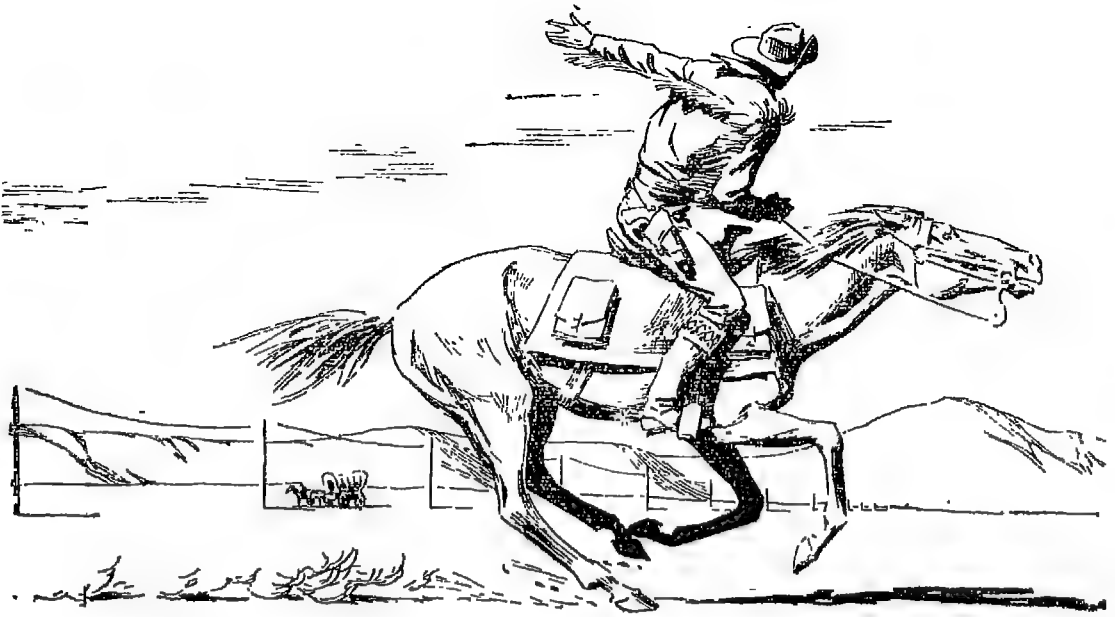
سوزانا ! لا تبكى من أجلى

فانى ذاهب الى كاليفورنيا

ومعى وعاء لتصفية الذهب !

ووصل الى سان فرانسيسكو فى ذلك العام أربعون ألف شخص بينما كان هناك غيرهم فى الطريق . وعثر الكثيرون على الذهب وعادوا الى أوطانهم أغنياء ، بينما وجد آخرون أن كاليفورنيا بلاد مشمسة موعنة بالأزهار ، ذات تربة خصيبة وأشجار باسقة ، ففرروا البقاء فيها لتربية الماشية .

وكان من الطبيعى أن يرغب أهل كاليفورنيا فى الحصول على الخطابات والصحف من الشرق فى أقصر وقت ممكن . وكذلك كان شعور أهل أوريجون . وأخيرا أنشئ خط لعربات السفرسمى « البريد البرى » .

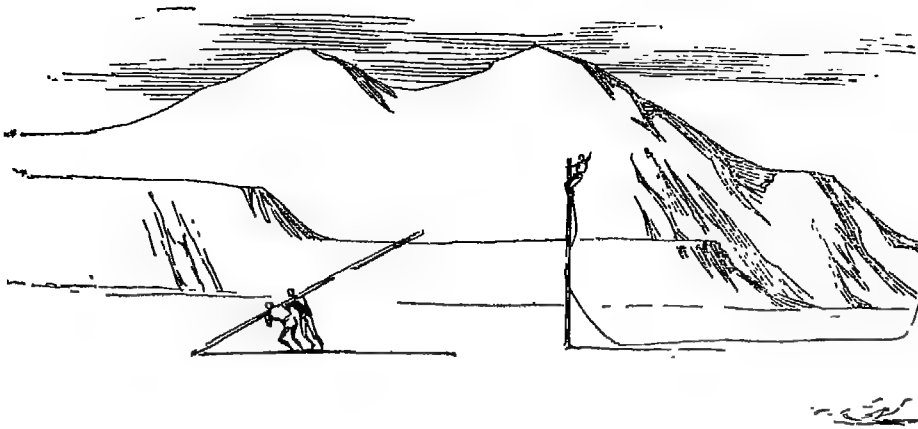


فكانت تسير عربة مرتين كل أسبوع متجهة من « تيتون »
و « ميسوري » نحو الغرب الى حيث ينتهى خط السكك الحديدية
الشرقى ، تجرها ست خيول فتعبر البرارى مخترة الممرات الجبلية
وتقطع الصحراء الى كاليفورنيا .

وتستبدل الخيول فى المحطات المنتشرة على طول الطريق
ويتولى سائق جديد قيادة العربة بينما يتناول الركاب الجائعون
وجبات سريعة . ثم تنطلق العربات من جديد فتواصل رحلتها
بالليل والنهار على السواء .

وعندما بدأ هذا الخط كان أهل كاليفورنيا يتعجبون قائلين :
ألفان وثمانمائة ميل فى خمسة وعشرين يوما فقط !!

ولكنهم ما لبثوا ان بدأوا يشكون ويقولون « خمسة وعشرون
يوما لكى يصل البريد من الشرق !! ما أبطأ هذا !! »



ورأى ثلاثة من أهل ميسورى أنه من الممكن أن يصل البريد من كاليفورنيا فى وقت أقل من هذا اذا حمّله الرجال على ظهور انجباد . وفى عام ١٨٦٠ أنشأوا خط « الجياد السريعة » .

وكانت هذه جيادا سريعة وراكبوها شجعانا لا يخافون . وكانت « الجياد السريعة » تحمل البريد من ميسورى الى كاليفورنيا فى عشرة أيام فقط رغم الهنود المعادين ، والعواصف الرديئة ، وما قد يقع من حوادث . ولكن لم تمض شهور كثيرة حتى بدت هذه السرعة لأهل الغرب أقل مما ينبغى . وراح العمال يعملون بسرعة ، أسبوعا بعد أسبوع ، لمد خط من أعمدة اتّلعراف على طول الخط الذى يخترق منطقة « السهول العظيمة » .

وظل أهل الغرب ينتظرون ، فى صبر نافذ ، آخر عمود من هذه الأعمدة . وكان تشوقهم للأبناء يتزايد يوما بعد يوم . كانوا قلقين على بلادهم وأقاربهم وأصدقائهم فى الشرق . ذلك أن كل حظيرة كانت تهدد الولايات المتحدة فى عام ١٨٦٠ - مشاكل تجلب الشقاء والحزن الى عدد لا يحصى من الأسر فى جميع أنحاء البلاد .

الفصل الثاني عشر

أيام قائمة للولايات المتحدة

(الزمن ١٨٦٠ - ١٨٦١)

وكان أصل المشكلة هو نظام العبودية . ففي أيام المستعمرين الأوائل كان الناس يقتنون العبيد في الشمال والجنوب على السواء ، ولكن رأى أهل الشمال أنه من الخطأ أن يمتلك انسان انسانا آخر . وأخذوا يعتقدون عبيدهم بالتدريج الى أن حرم نظام العبيد كله في جميع ولايات الشمال .

أما في الجنوب فقد ازدادت العبودية . ومن الحق أن كثيرين من العبيد كانوا يلقون معاملة حسنة ولكن المئات من الزنوج المتطلعين الى الحرية أخذوا يفرون من ساداتهم . فكانوا يختفون بالنهار ويرحلون بالليل ، وتمكن عدد كبير منهم من الوصول الى الشمال . وهناك كان الناس الطيبون يقدمون لهم الطعام ويخفونهم عن أعين قناصة العبيد . ثم قدموا المساعدة الى كثيرين من هؤلاء انهاريين حتى يصلوا سالمين الى كندا .. وهى بلد لا وجود فيها لنظام العبيد .

وأسخط هذا الأمر بالطبع أهل الجنوب وازداد غضبهم حين حاول أهل الشمال أن يمنعوا من اقتياد العبيد الى أقاليم جديدة كانت تنشأ حينذاك في الغرب .

واعترض الجنوبيون على ذلك قائلين « ان العبيد ملكنا ! ولنا نفس ما لكم من حق في نقل ملكيتنا الى أقاليم جديدة . فإذا

مضيتم أيها الشماليون في مضايقتنا فسننفصل عن الاتحاد وننشئ
لنا بلادا مستقلة عنكم .

فرد الشماليون قائلين : « كلا ! ليس لكم أن تفعلوا هذا فانه
عندما أنشئ الاتحاد اتفقت الولايات جميعا على الارتباط معا
بدستور واحد ولن نسمح لكم بتجزئة الأمة جزءين » .

فانذرهم الجنوبيون قائلين « سنفعل هذا اذا كان ذلك في
صالح الجنوب » .

وازداد الخلاف سوءا بين الشمال والجنوب مع مرور الأعوام .
وكان ابراهام لنكولن أحد الشماليين الذين رفعوا أصواتهم
وتكلموا بقوة أثناء هذا النزاع . وكان قد أصبح محاميا معروفا
في « ايللينوى » ذا معارف واصدقاء كثيرين . واذ كان يكره
العبودية فقد ألقى الكثير من الخطب ضدها في أنحاء عديدة في
البلاد . وكان الناس يهرعون اليه لبراعته في الخطابة .

وكان بعضهم يتسم سخرا من قوامه الطويل الرفيع وملابسه
المهملة وشعره الأسود الأشعث ولكنه كان يبدأ خطبته فيصغى
اليه الجميع .

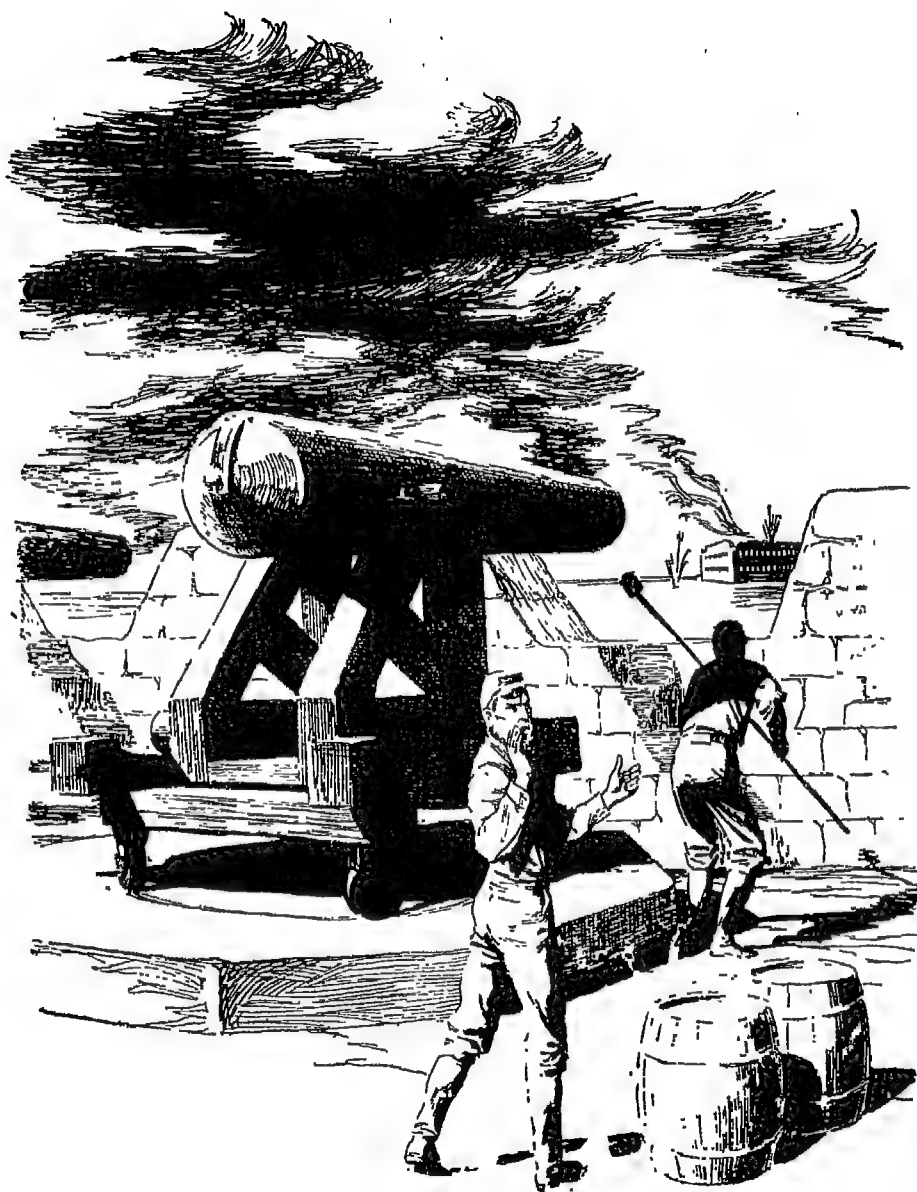
كان يذكر مستمعيه بصوت قوى واضح أن وثيقة « اعلان
الاستقلال » تنص على أن الحرية حق مكفول للجميع . وكان
يصر على تقرير أن العبودية شر لا ينبغي أن يسمح له بالانتشار .
وكان يقول انه يؤمن بأنه لابد أن تكون هناك طريقة سلمية يفض



بها النزاع الدائر حول العبودية . وكان يناشد أهل الشمال والجنوب على السواء أن يتذرعوا بالصبر حتى يصلوا الى هذه الطريقة السلمية .

واستمع آلاف من الناس الى لنگولن وهو يخطب . وقرأ عنه آلاف آخرون في صحفهم ، وأخذ اعجابهم واحترامهم له يزداد الى أن انتخب في ٦ نوفمبر سنة ١٨٦٠ رئيسا للولايات المتحدة .

وكان هذا خبرا سيئا لأهل الجنوب !! فانهم لم يكونوا يرغبون في أن يصبح لنگولن ولا أى شخص آخر من أعداء العبودية رئيسا للبلاد . وبدأت الولايات الجنوبية ، على الفور تقريبا ، في الانفصال عن الاتحاد . وشكلوا لأنفسهم حكومة خاصة أطلقوا عليها اسم الولايات « الأمريكية المتضامنة » ، وانتخبوا رئيسا تليهم زعيما جنوبيا اسمه جيفرسون ديفيز ونظموا كذلك جيشا خاصا بهم .



وكان الناس الآن ينتظرون في قلق ما سيحدث بعد ذلك . ولم
يطل انتظارهم .

ففي جزيرة في خليج « تسارلتون » في كارولينا الجنوبية
تقوم قلعة اسمها « ستر » . وفي فجر يوم ١٢ أبريل من عام
١٨٦١ قام جنود الحكومة المتضامنة بمهاجمتها ، وظلوا يمتطرون
القلعة بالقنابل من البر ما يقرب من يومين . ودافع عنها من كان
يها من جنود الاتحاد دفاعا باسلا ، ولكنهم اضطروا للتسليم عندما
نفدت منهم الذخيرة .

ونزل العلم ذو النجوم والأشرطة الذي كان يخفق في عزلة
فوق قلعة « ستر » وارتفع مكانه علم المتضامنين الجديد — علم
ذو نجوم وخطوط ، وما لبث الأمريكيون في كل مكان أن أدركوا
أن حربا بين الجنوب والشمال قد بدأت .

وسميت هذه الحرب في الشمال حربا أهلية أي حربا بين
جزئين من أجزاء بلد واحد ، بينما سميت في الجنوب حربا بين
الولايات . وكان الشمال يحارب من اجل الاتحاد والجنوب يحارب
لتحطيم هذا الاتحاد .

وكان كل من الجانبين مؤمنا بأنه على حق وبأنه سيفوز حتما .
ولم يكن أحد يتوقع أن تطول الحرب بل الواقع أن الناس في
البداية لم يأخذوا الأمر مأخذ الجد .

وعندما نشبت أول معركة كبيرة عند « بوله رن » قرب

واشنتن خرج عدد من الرجال والنساء حاملين سلال الطعام
وامتطوا جيادهم الى هناك ليتسلوا بمشاهدتها . وعادوا الى
بيوتهم تلك الليلة وقد صدم نفوسهم ما رأوه ، وجعلوا يأملونه
ألا يضطروا أبدا الى رؤية معركة أخرى .



الفصل الثالث عشر

أمة واحدة لا تتجزأ

(الزمن ٨١٦١ - ١٨٦٥)

ان كل الحروب بشعة . وفي الحرب الأهلية كان الأمريكيون يطلقون النار على أمريكيين آخرين فيقتلونهم في معارك دامية . وأحرقت فيها منازل ومزارع واثقلت حقول وضربت ، ومزقت خطوط السكك الحديدية ، وحطمت جسور ، ودمرت قرى وبلدان ، وقتل الآلاف من الجنود ، واكتظت المستشفيات بالجرحى .

ونشب أغلب القتال في الجنوب . وفي البداية كانت قوات الشمال تنهزم في كل معركة تدخلها تقريبا لافتقارها الى قائد قمى ، أما قوات الجنوب فكان لها مثل هذا القائد ، وكان اسمه « روبرت لى » .

وكان الجنرال « لى » سيدا كريما من فيرجينيا ، أصله صابط في جيش الولايات المتحدة - وكان ، شأنه شأن عدد من أهل الجنوب ، يكره نظام العبودية وكان هو نفسه قد اعتق عبيده . ومع أنه كان يجب الولايات المتحدة ، فإنه كان يجب الجنوب أكثر من ذلك . وكان يقود جنوده ، بحلهم الرمادية ، من نصر الى نصر جديد .

وبعد ما يقرب من عامين في القتال بدا الأمر كأن الجنوب سيتصر حتما في الحرب فيتحطم الاتحاد . وثبطت عزيمة أهل

الشمال ، وكانت تمر أوقات يشعر فيها الرئيس لنكولن نفسه باليأس تقريبا .

وكان يرقد ليلا في سريره الكبير يتقلب في انتظار أخبار من وزارة الحربية وعند ذاك كان يشغل خاطره سؤالان كبيران : أين يستطيع أن يجد جنرالاً في قوة الجنرال « لى » وبراعته وقوة عزمه ؟ وماذا ينبغي عليه أن يفعل في قضية العبودية ؟ ..

كان أناس كثيرون يتوسلون اليه منذ وقت طويل أن يحرر العبيد . ولكنه كان يرفض لأنه كان يعتقد أنه ليس من حقه أن يأخذ العبيد من مالكهم ، فاستقر رأيه الآن على أن تحرير العبيد حرى أن يضعف من قوة الجنوب مما يساعد على انقاذ الاتحاد .

وحرر لنكولن في دقة كبيرة ، اعلاناً نسميه « اعلان التحرير » .

وعندما وقع في أول يناير من عام ١٨٦٣ تحرر جميع العبيد في الولايات التي خرجت من الاتحاد .

وما كان أعظم غبطة الزوج عندما سمعوا بالنبأ !! ولكن « اعلان التحرير » جعل الجنوبيين يزدادون عنفاً في قتالهم . وجاء الربيع فانتصر جنود « الولايات المتضامنة » في معركة كبيرة في فيرجينيا . ثم قادهم الجنرال « لى » جنوب الشمال داخلاً بهم صميم « بنسلفانيا » .

وذاث يوم دافىء من أيام شهر يونيه فزع سكان بلدة « جيتيسبرج » لمراى تلك الصفوف الطويلة من جنود الجنرال



لى ، فى حللهم الرمادية ، يخترقون طريق البلدة . ووقف البعض على أبواب منازلهم يتطلعون فى غضب الى الجنود المارين أمامهم ، وشعر الآخرون بالخوف لمرأى العدو واختبأوا فى مزارعهم ، يدعون الله أن يأتى جيش الاتحاد سريعا للدفاع عنهم .

وكان أحد جيوش الاتحاد قاذما فى الطريق . كانت هناك آلاف من الجنود ذوى الملابس الزرقاء يتقدمون جنسوب جيتيسبرج بقيادة جنرال اسمه « ميد » .

وفى أول شهر يوليو التقى الجيشان الكبيران ، وظلا يتحاربان حربا مريرة بأسلة ، طيلة ثلاثة أيام طويلة حارة بشعة . ودارت المعركة فوق التلال وفى حقول القمح ، وفى الطرق المغيرة ، وبين

أشجار الخوخ والتفاح ، بل ونشبت مرة بين المقابر . ثم بدأ رجال الجنرال « لى » يفقدون سيطرتهم على الموقف ، وبدأوا يتقهقرون نحو الجنوب فى الرابع من شهر يوليو متعين مهزمين وتمكنوا أخيرا تحت وابل من المطر المتساقط ، من عبور نهر « يتوماك » الى فيرجينيا .

وكان جنود الاتحاد قد أحرزوا نصرا هاما فى جيتيسبرج ولكن الرئيس لنكولن غمغم ساخطا عندما علم بهذا ، ذلك أنه لو أسرع الجنرال « ميد » لوقع الجنرال لى وكل جنوده أسرى قبل أن يفروا هاربين عبر النهر ، ولانتهت الحرب بعد ذلك سريعا . أما الآن فقد تطول شهورا عديدة .

وسأل لنكولن نفسه من جديد فى بؤس أين له بجنرال قوى ذى عزيمة واصرار ؟ وظفر لنكولن بالجواب على سؤاله هذا فى اليوم التالى مباشرة .

وحملت اسلاك البرق الى وزارة الحرية نبأ انتصار آخر لجنود الاتحاد اذ تمكن قائد اسمه الجنرال « جرانت » من الاستيلاء على المدينة الجنوبية « فيكسبرج » فى ولاية مسيسيبي بعد محاولة عنيدة دامت ثمانية أشهر .

وقال لنكولن « لقد واصل محاولته ثمانية أشهر .. ثم فاز .. ان جرانت هذا هو الرجل الذى أبحث عنه » .

وما لبث أن استدعى الجنرال « يوليسى جرانت » الى

واشنطن وقادة القيادة الكاملة لقوات الاتحاد . وقرر « جرانت » على الفور الاستيلاء على « ريتشمود » في ولاية « فيرجينيا » وكانت عاصمة الولايات المتضامنة ، وكان مصمما على بلوغ غايته . مهما استغرق ذلك من وقت أو كلفه من نفقة .

وخرج جرانت على رأس جيش كبير ، متجها جنوب الجنوب . وأسرع الجنرال « لى » بجيشه الكبير لملاقاته وتمكن الجنود المتضامنون من التغلب عليهم في معركتين كبيرتين غلبة واضحة بعد قتال مرير لطرد المعتدين . ولكن « جرانت » ورجاله رفضوا التسليم بأنهم قد هزموا وظلوا يندفعون الى الامام فى عناد ، وعندما جاء الشتاء ووضع حدا للقتال كان كل من جيئى الاتحاد والحكومة المتضامنة قريبا من بيترزبرج الواقعة جنوب « رتشموند » مباشرة .

كان شتاء طويلا قاسيا على جنود الجنوب . وآانف المخازن والمزارع والسكك الحديدية فى الجنوب قد دمرت وهم يصل الامدادات التى كان « لى » فى مسيس الحاجة اليها .

وكثيرا ما كان يقتصر طعام « المتضامين » على كعك الخبز واللحم الرديء . وأصبحت ملابسهم أسمالا وشحت مخازن ذخيرتهم . وقبل أن ينتهى الشتاء كان الآلاف من الرجال قد ثبطت عزيمتهم وهجروا الجيش . ولكن آلافا أخرى كثيرة بقيت مع الجنرال « لى » على استعداد للقتال اذا ما أصدر أوامره .

وجاء الربيع - وفي اليوم الأول من أبريل هاجم رجال الجنرال «جرات» جنود الجنرال «لى» ومع أن الجنوبيين قد حاربوا بعنف وشدة فانهم لم يتمكنوا من الاحتفاظ ببلدة نيوزبرج ونما دورها في وقت متأخر من الليلة التالية وخرجوا مسرعين نحو الجنوب الغربى يقودهم الجنرال «لى» .

ولم يضيع الجنرال جرات دقيقة واحدة . فقد ارسل جنودا للاستيلاء على رتشموند التى كانت الآن بلا دفاع وأمر فصيلة من الفرسان بتطويق المتضامين وفصلهم قبل أن يفروا بين التلال ثم خرج هو وراء الجنرال لى بأسرع ما استطاع رجاله .

وبعد ستة أيام كانت قوات الاتحاد قد حاصرت جيش المتضامين وأدرك الجنرال «لى» أن الوقت قد حان للتسليم .

وبغلب مبتس أرسل الى الجنرال جرات يقول انه على استعداد للتسليم .



وفي التاسع من أبريل سنة ١٨٦٥ التقى القائدان الشجاعان في منزل احدى المزارع بقرية « أبوماتوكس » بولاية فرجينيا ،
وتصافحا في عبوس ووقار ، ثم جلسا ومعهما مساعدوهما للتشاور
بشأن شروط التسليم .

وكان الرئيس لنكون قد طلب الى جرانت أن يكون كريما
متسامحا مع الجيش المنهزم . وكان جرانت نفسه رجلا كريما ،
فابلغ الجنرال لى أنه ليس على ضباطه أن يسلموا سيوفهم وأن
لمن يمتلك من جنوده جيادا أن يحتفظ بها ليستخدمها لحراسة
حقله في موسم الربيع . ثم أصدر الجنرال جرانت أوامره بإرسال
الغذاء فورا الى جنود جيش المتضامنين الجائع .

وأخيرا انتهت الحرب الأهلية الشنيعة الطويلة وقام لاتحاد ،
وانتهت العبودية الى الأبد ، واقبل السلام على بلد متعب ،
وأصبح للعلم ذى النجوم والخطوط أن يخفق من جديد على بلد
متحد .

وأخذت الفرحة العظيمة بالرجال والنساء والأطفال في جميع
أحياء البلاد عندما بلغهم النبأ السعيد ، وحتى في الجنوب بكى
الناس سعادة وارتياحا اذ انتهت الحرب .

وفي واشنطن تجمعت الجموع المهللة الهائقة أمام البيت
الأبيض تدعو الرئيس لنكون الى الظهور أمامهم والخطابة فيهم
وعندما بدا لهم في نافذة علوية كانت تضيء وجهه النحيل المرهق

مهمة مشقة ولكنه لم يقل سوى كلمات قلائل ثم عاد الى مكتبه ، فقد كان أمامه عمل كثير . كان قد بدأ بالفعل برسم الخطة لمساعدة أهل الجنوب على إعادة بناء بلدانهم ومدنهم ووسائل العناية بشئون الأرامل واليتامى في كل من الشمال والجنوب .

وكان لنكولن متعبا مرهقا حينما طرح عمله جانبا ، بعد عدة ليال من ذلك اليوم ، ليذهب مع زوجته الى المسرح . ووصلا متأخرين وكانت المسرحية قد بدأت . ولكن الجمهور وقف وهلل وصفق وهتف عندما جلس الرئيس لنكولن في مقصورته المزينة بالأعلام .

ولكن كان هناك رجل واحد بالمسرح لم يهتف ويهلل تلك الليلة . كان ذلك الرجل ممثلا معتوها اسمه «جون ويلكز بوث» يكره لنكولن وكل ما فعله لاتخاذ الاتحاد . وبينما المسرحية ماضية دخل هو بهدوء يسير في الممر الصغير الواقع أمام مقصورة الرئيس ، وفي صمت وهدوء فتح الباب ورنع بيده اليمنى مسدسه وصوبه نحو الرئيس وأطلق النار .

وانكفأ لنكولن أماما وقد أصابته الرصاصة بجرح في رأسه . وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي مات لنكولن .

انقلبت الأفراح أحزانا في ملايين المنازل ، بل كان في الجنوب نفسه من بكى حزنا عليه وقال لقد فقدنا أخلص أصدقائنا ..



الفصل الرابع عشر

هنود حمر ، ورعاة بقر ، وسيارات

(الزمن ١٨٦٥ - ١٩٠٣)

في الوقت الذي انتهت فيه الحرب الأهلية كان الهنود الحمر في حالة ثورة وتمرد ، وكان لدى الهنود أسيا ب قوية في هذا . كان البيض يعتدون على حدود أراضي الصيد التي وعد بها الهنود الحمر الى الأبد ، والمعدنون ذوو اللحى ينقبون عن الذهب في « كلورادو » و « نيفادا » و « مونتانا » . ومد البيض خطا من أسلاك التلغراف عبر « السهول » وكانوا يدمرون الصخور ، وينشئون الجسور ، أثناء اقامتهم لخط من السكك الحديدية يمتد الى المحيط الهادى .

كانت عربات السفر تشغل الطرق الجديدة الممتدة عبر بلدان من الخيام والأكواخ التي أنشئت في ملح البصر ، كانت أراضي صيد الهنود تدمر أمام أعينهم . وأخذهم الغضب فكان شبابهم انشجعان يمتطون صهوة جيادهم ويصرخون صرخات الحرب الوحشية ويهاجمون عربات السفر ويقتلون المستوطنين ، وينقضون على معسكرات المعدنين ويعاودون تمزيق أسلاك التلغراف ، المرة بعد الأخرى .

وقاموا باقتلاع أجزاء من خطوط السكك الحديدية وتحطيم الجسور أيضا ومع ذلك مضى العمل في مد خطوط السكك الحديدية باضطراد .

كان العمال من الصينيين الصامتين ذوى الخصل المدلاة وراء
الرؤوس يمدون أجزاء من الخطوط الممتدة من كاليفورنيا صوب
الشرق بينما كان عمال من الايرلنديين المسلحين تسليحا قويا
يقومون ببناء جزء آخر يمتد صوب الغرب من « براسكا » .

وذات صباح قارس البرد من عام ١٨٦٩ حمل قطار آت من
الشرق وآخر من الغرب ، جموعا من الناس جاءت الى « برومنتورى
بوينت » فى ولاية يوتاه لمشاهدة عملية مد آخر جزء من القضبان
وألقيت الخطب الطويلة ، وتليب الصلوات ، ووضعت القضبان
مكانها ، وتولى أحد السادة دق آخر مسمار بمطرقة ذهبية لامعة.
وعزفت الموسيقى لحنا بهيجا وامتلات السماء بأصداء الهتافات
العالية . وبعيدا عن الجمع المزدحم وقفت جماعة من الهنود تراقب
فى صمت . ربما كانوا يتساءلون فى عجب عن معنى هذا الضجيج
والاحتفال ، ومع أنهم لم يعرفوا حقيقة الأمر بعد ، فقد أحسوا
أن فيه نهاية لطريقة حياتهم .

ان المسافرين يستطيعون الآن أن يرحلوا من شاطئ المحيط
الاطلسى الى شاطئ المحيط الهادى مستقلين القطار . ومنذ ذلك
الوقت أخذ البيض يدخلون أراضى الهنود فى أعداد تفوق كل
ما سبقها .

وكان من بين هؤلاء كثير من الصيادين الذين جاءوا لاقتناص
الجاموس البرى ، وكان بعضهم يقتل تلك الحيوانات الضخمة

الغليظة الشكل لمجرد المتعة والرياضة ، بينما كان آخرون يقتلون منها الآلاف ويأخذون جلودها للبيع تاركين جثثها تتعفن في البراري .

ولم يكن الهنود يعتمدون على الجاموس من أجل لحومها فحسب وإنما كانوا يحتاجون إلى جلودها ليتخذوا منها ملابسهم . فلما رأوا القطعان الكبيرة يأتي عليها القتل أخذهم الغضب والسخط .

وبدأت القبائل تشن الحرب واحدة بعد أخرى إلا أنهم رغم شجاعتهم لم يكونوا خصوما أكفأ لجنود الولايات المتحدة المزودين بالأسلحة القوية . وفي النهاية اضطر إلى التسليم زعماء أقوياء مثل « السحاب الأحمر » و « الثور الجالس » و « الحصان المجنون » و « جيرونيمو » ، وكل الزعماء الأقوياء الآخرين .

وفي حزن شديد عاد الزعماء بأتباعهم الجوع إلى حصص من الأرض أفردتها لهم الحكومة ويطلق عليها اسم « الأراضي المحجوزة » حيث عاشوا في أسي يأكلون الطعام الذي تقدمه إليهم الحكومة بعد أن وعدوا بمحاولة تعلم تلك الأساليب الغريبة التي يعيش بها الرجال البيض .

وأصبحت منطقة السهول العظمى ، بعد خلوها من الجاموس البري واضطرار الهنود إلى المسالمة ، منطقة لتربية المواشي والأغنام يقوم فيها رعاة البقر بدفع الآلاف من الحيوانات الطويلة القرون

كل ربيع ، شمالي « شيشولم تريل » من « تكساس » الى
« كانساس » ومن هناك ترحل القطعان على ظهور السفن الى
الأسواق الشرقية .

وبينما تدفع الآلاف الأخرى من القطعان الى أبعد من ذلك
شمالا في طرق أخرى من تلك الطرق الصحراوية الطويلة ، كان
رعاة البقر يغنون أحيانا وهم يحملون منشدين هذه الأغنية :

هيا !! هيا !! أيتها الحيوانات الصغيرة

انه سوء طالعك أنت لا طالعى أنا

هيا !! هيا !! أيتها الحيوانات الصغيرة

فأنت تعرفين أن « ويومينج » ستكون موطنك الجديد !!

وظلت القطعان ، أعواما ، ترعى في حرية كاملة في منطقة
السهول العظمى حين يطلقها الرعاة من عقالها دون أن يحفل أحد
أين ترعى . ثم بدأ المزارعون يأتون الى منطقة السهول حيث
الأرض رخيصة الثمن ، أو يحتلها من يشاء دون مقابل .

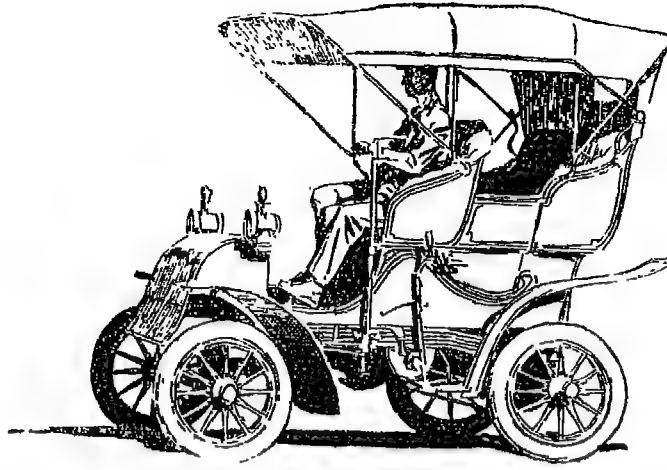
واذ كان الخشب قليلا في هذه المنطقة فانهم كانوا يبنون
مساكنهم من الأحجار ويحفرون الآبار ويزرعون الحبوب .

ولكى يمنع المزارعون قطعان الماشية من العدوان على
محاصيلهم كانوا يحيطون حقولهم بالأسلاك الشائكة التي ابتكرت
حديثا حينذاك . فأغضب ذلك جماعات الرعاة ، وكانت تنشب
المشاحنات المسلحة بينهم وبين المزارعين . وفي النهاية أحاط أصحاب



القطعان أراضى الرعى بالأسلاك الشائكة ، وبعدها أصبحت منطقة السهول العظمى منطقة هدوء واستقرار تتألف من المزارع والمراعى والبلدان المنتشرة .

وفي هذه الفترة ، كانت أساليب الحياة تتغير فى أجزاء أخرى من البلاد . حلت مواقد الغاز محل مواقد الفحم والخشب ، وكانت تطلق حرارة مباشرة باشعالها بعود ثقاب . وأصبح الطعام المطهى يعبأ فى علب لا يستغرق فتحها ثوان قليلة ، وأمكنت حياكة الثياب بالآلات المنزلية فى وقت سريع ، وكانت الاختراعات الموفرة للجهد والعمل تجعل الحياة أسهل وأيسر على الفلاحين والميكانيكيين ورجال الأعمال والناس جميعا .



وأصبحت المزارع تستخدم الآن آلات بخارية في عمليات الحصد والجمع والضم . وبفضل التليفون الذي كان قد اخترعه « الكساندر بل » أمكن للناس أن يتخاطبوا وهم على مسافة «ميال» ، كما أمكن تبادل الرسائل بالأسلاك الكهربائية الممتدة تحت الماء بين إنجلترا وأمريكا ، كما أتاح ابتكار الآلة الكاتبة سرعة تفوق أى كتابة يدوية .

وكان « توماس اديسون » سعيدا في عمله في « منلو بارك » بولاية « نيو جيرسى » يخترع ويبتكر ، بحيث كان يواصل عمله ليل نهار . كان قد اخترع الفونوغراف وسكة حديد كهربائية ، وجهازا للصور المتحركة واخترع ما هو أهم من ذلك . اخترع مصباحا كهربائيا يعطى ضوءا ثابتا مأمونا يمكن استخدامه في إضاءة الطرق والمصانع والمستشفيات وغيرها من الأبنية .

وفي الوقت الذي كان اديسون مشغولا فيه ، في « نيو جيرسى » كان رجال آخرون في جهات أخرى يحاولون صنع عربات تجرى

بلا أحصنة . حاول ثلاثة أو أربعة منهم تسير عرباتهم بقوة البخار .
وأجرى آخرون تجاربهم في آلات الكهرباء والجاسولين . ونجح
الجميع في خلال أعوام قليلة .

وما أكثر ما ضحك الناس حينما رأوا أول سيارة ! كانوا
يصيحون قائلين كلما توقفت احداها عن السير في طريق مزدحم أو
تشرت في الوحل : « ضع أمامها حصانا يجرها » .

وأخذت السيارات في الطرق تزداد عاما بعد عام كما ازداد
عدد الطرقات نفسها . وزاد عدد المدارس والكلليات والمستشفيات
والكنائس والمتاجر والمصانع والمطاحن والسفن التجارية في
البحيرات والأنهار والصحف والكتب والمكتبات . وزاد عدد
الناس أيضا .

كان الناس يفتدون على الولايات المتحدة الآن من كل بلد في
أوروبا لا بل ومن بلاد غيرها أيضا . جاء الكثيرون منهم سعيا وراء
فرصة لحياة أفضل من حياتهم في أوطانهم ... وراء فرصة أفضل
لتعليم أبنائهم . وجاء آخرون لأنهم يريدون أن يعيشوا في بلد
لا يحكمه ملك ، بلد للناس فيه حرية تشريع قوانينهم واختيار
رؤسائهم .

وكان معظم هؤلاء المهاجرين أهل جد وعمل فكانوا يصيحبون
حيثما حلوا مواطنين أمريكيين صالحين يساعدون على إثراء البلاد
وتقويتها .

والواقع أنه ما جاء عام ١٩٠٠ حتى أصبحت الولايات المتحدة من أقوى الأمم في العالم . وكان علمها ذو النجوم والخطوط يخفق فوق «الاسكا» ، و «هاواي» و «كوبا» و «بورتوريكو» و «جزر الفيلين» .

كانت الولايات المتحدة قد اشترت «الاسكا» من «روسيا» بعد انتهاء الحرب الأهلية بوقت قصير . أما «هاواي» فطلبت أن تتبع الولايات المتحدة ، و «كوبا» استولى عليها الأمريكيون بعد انتصارهم على أسبانيا في حرب قصيرة ، نشبت لتحرير أهل كوبا من حكمهم الأسبان الظالمين . وعندما انتهت الحرب أصبحت جزر «بورتوريكو» و «الفيلين» الأسبانية هي الأخرى أقاليم تابعة للولايات المتحدة .

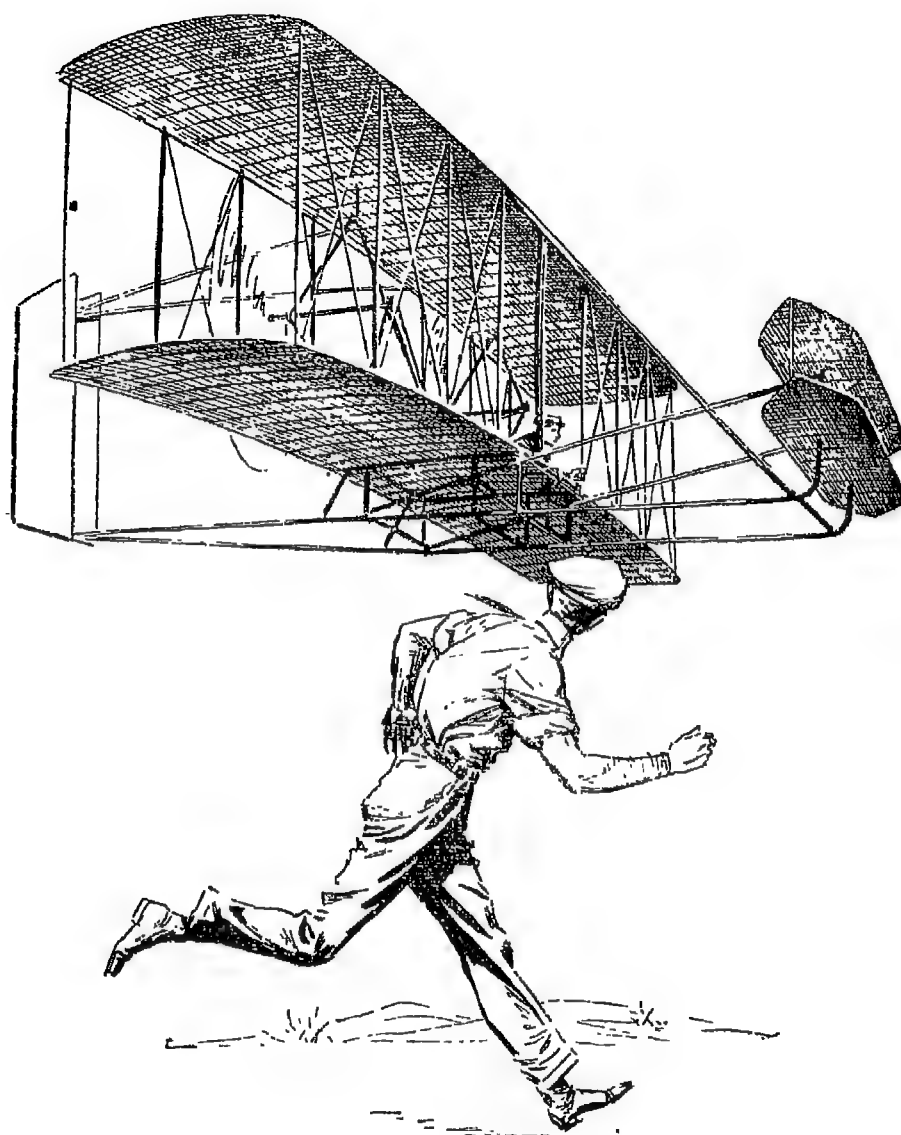
واذ لم يكن الأمريكيون يرغبون في أن تكون لهم مستعمرات فقد وعدت كل من هذه البلاد الخمسة باستقلالها حالما تتمكن من حكم نفسها بنفسها أو تصبح واحدة من الولايات المتحدة .

وفي عام ١٩٠٢ ، وبمعاونة المستشارين الأمريكيين أنشئت جمهورية كوبا وقام شعب كوبا بانتخاب أول رئيس للجمهورية .

وكان للأمريكيون ، مع هذا ، جزر أخرى تحت حكمهم وحمائهم في المحيطين الأطلسي والهادي . واذا كانت الرحلة تستغرق عدة أسابيع للدوران حول طرف أمريكا الجنوبية فقد أصبح من المهم أن يوجد طريق مائي قصير بين المحيطين . فأعد الرئيس روزفلت

للولايات المتحدة أمر تأجير شريط من الأرض حول مضيق
« بناما » إيجارا أبديا ، ثم رست الخطط لشق قناة بناما .

وهكذا حدثت تغيرات عظيمة لهذه الأمة التي بدأت بمحلة
-جيمستون الصغيرة في فيرجينيا منذ حوالي ثلاثمائة عام . وكان
سا يزال في انتظارها تغيرات أكبر وأعظم .



الفصل الخامس عشر

أعوام طيبة وأخرى سيئة

(الزمن ١٩٠٣ - ١٩٣٢)

كان الجو قارصا على شاطئ « كيتي هوك » في « كارولينا الشمالية » وبعثت ريح شهر ديسمبر بالسحب المتلاحقة في السماء الداكنة .

ونظر رجل اسمه « ريلبر رايت » الى ساعة ضبط الوقت وهو واقف الى جانب آلة رقيقة المنظر ذات أجنحة . ثم نظر الى شقيقه اندى كان منبطحا تحت أحد الأجنحة الى جانب آلة ذات ضجيج .

ورفع صوته فوق الضجيج يسأله « هل أنت مستعد ؟ »

فأجاب « أورفيل رايت » بصوت مرتفع هو الآخر : « أجل مستعد » . وبجذر واحتياط ، فك السلك الذى كان يربط الآلة الى لوح خشبي .

وكان على مقربة منهم أربعة رجال وصبي يراقبون في قلق . وبيبطاء أخذت الآلة تتقدم على اللوح الخشبي صوب الهواء .

ثم صعدت ، وصعدت في الجو — ارتفعت أربعة أقدام عن الأرض ثم مالت فجأة بمقدمتها . ولكنها نهضت من جديد وارتفعت . وبعد ثوان قليلة ، مالت ثانية واستقرت على الرمال . وهتف « ويلبر رايت » والخمسة الآخرون في سعادة عظيمة ، وهم يجرون نحوها .

يالروعة هذا المنظر الذى شهدوه ! لقد أتفق العلماء والمخترعون سنوات عديدة يحاولون صنع آلة يستطيع الانسان أن يطير بها .
وها هما الأخوان رايت ينجحان !! ولأول مرة فى تاريخ العالم قامت آلة بحمل انسان فى الجو !!

ان الطائرة سوف تغير حياة الملايين من الناس فى جميع أنحاء العالم . ولكن لم يكن أحد يدرك ذلك حينذاك ، ولا الأخوان رايت نفسهما . وظلا أعواما كثيرة فى التجارب وتحسين بناء الطائرات .

وفى هذا الوقت كان مخترعون آخرون يجرون التجارب على آلات سوف تجعل الحياة اليومية أكثر راحة ويسرا .. آلات تستخدم الكهرباء فى كنس الأرض وغسل الملابس وصنع الثلج ، ومئات من الأعمال الأخرى فى المنازل والمصانع والمزارع .

توصل المهندسون الى صنع سيارات رخيصة أكثر أمنا وسرعة وسهولة استخدام . وما لبث « الجاسولين » أن استخدم فى القيام بأعمال كثيرة كانت تؤديها الخيل طوال قرون عديدة .

وبدأ المهندسون والبناءؤون يستخدمون الصلب والأسمنت فى انشاء المباني التى تفوق فى ارتفاعها كل ما سبقها من أبنية .. مرتفعة الى درجة أن سميت « ناطحات السحاب » .

وكان الأطباء يقضون على أمراض شنيعة ، والعلماء يبينون للمزارعين طرقا لزيادة محاصيلهم وتحسين مواشيتهم ، ورجال

للأعمال يستخدمون الآلات الحاسبة فتوفر الوقت والمال . وكان
كل هذا يزيد ثراء على ثراء .

فلم يكن من العجب اذن أن يرى الفقراء والمساكين في البلاد
الأجنبية أن كل انسان في أمريكا يعيش عيشة طيبة ، وأن كل
انسان يستطيع أن يصبح غنيا . وهكذا تدفق الفقراء من أمم
كثيرة على الولايات المتحدة ، مليوناً منهم تقريباً في كل عام .

وكان معظم هؤلاء المهاجرين يستقرون في المدن الكبيرة .
واذ كانوا جدد فقراء فقد اضطروا الى العيش في أحياء فقيرة ، حيث
كانوا يزدحمون في أبنية قدرة بأئسة ، قد تعيش عائلة بأكملها في
غرفة واحدة لا نوافذ لها . ولم يكن للأطفال مكان يلعبون فيه
سوى الممرات المظلمة أو الطرق والأزقة التي تنتشر فيها النفايات
والقاذورات . ومرض منهم أناس كثيرون .

وكان الأمريكيون الذي يمرون بهذه الأحياء الفقيرة يرثون
لهم ، ويقولون « ان هذا أمر مخجل ! » وكانوا يفعلون شيئاً من
أجلهم . وما لبثت البلاد جميعاً أن عرفت ، عن طريق الصحف
والمجلات ، بصورة الحياة التي يحيها آخر المهاجرين في المدن
الكبيرة . وتضافر الناس على مساعدتهم . كان الأطباء والمرضات
والمدرسون ورجال الدين ورجال البوليس وأناس آخرون من
شتى المهن والأعمال يبذلون من أجلهم الكثير من الوقت والمال .

وسنت القوانين التي تفرض على مالكي المساكن لتنظيفها

ورميمها ، وبنيت مساكن جديدة وفتحت الحدائق والملاعب
للأطفال وآبائهم ، وأنشئت دور الحضانة النهارية حيث تستطيع
الأمهات أن يتركن أطفالهن ويذهبن الى العمل ، وأقيمت الأبنية
العامة ذات الحجرات الواسعة البهيجة حيث يمكن أن يلتقى
الرجال والنساء والأطفال للدراسة واللعب ، وأتيح لآلاف من
الفتيات والفتيان أن يعيشوا حياة أفضل وأسعد .

وكان الرئيس روزفلت يعمل ، في البيت الأبيض في واشنطن ،
على أن تصبح الحياة أفضل وأسعد للناس جميعا في الولايات
المتحدة . وكان قد تبين ان كثيرين من الأمريكيين يعيشون عيشة
افساد وتبديد اذ يقتلعون آلاف الأشجار دون أن يزرعوا غيرها
لتحل محلها ، ويتركون مساحات كبيرة من الأرض الجافة الرملية
كما هي ، بينما كان يمكن تهيئتها لزراعة المحاصيل ، ويقتلون عدة
آلاف من الطيور والحيوانات البرية كل عام لمجرد المتعة والتسلية .

فقال تيودور روزفلت « يجب أن نتعلم كيف نستفيد من كل
أراضيها . يجب أن نحافظ على غاباتنا ، وأن نحصى طيورنا
وحيواناتنا البرية . فاذا لم تفعل ذلك فان أبناءنا الذين سيولدون
بعد مائة عام سيجدون أن بلادهم الرائعة قد أفسدت وخربت » .

ثم أمر الرئيس روزفلت فبنيت الخزانات لتخزين مياه الري
التي حولت بها الصحراء الى أرض زراعية خصبة .. ثم وضع
حدودا على مناطق شاسعة من الغابات لايسمح لأحد بقطع شجره

منها دون اذن كما تزرع فيها أشجار جديدة . وأنشأ خمس حدائق عامة كبيرة تأمن فيها الحيوانات البرية والطيور غائلة بصادق الصيد .

وما لبث كثير من الناس أن أخذوا يقومون بزيارة هذه الحدائق العامة الجميلة حيث يعسكرون ويتمتعون بالطبيعة . . وكانت خطوط السكك الحديدية الجيدة ، والسيارات والطرق العامة تجعل السفن الآن أمرا متعا . والواقع أن ملايين الأمريكيين الآن كانوا ينفقون وقتا أمتع من أى زمان مضى . وكان معظمهم منشغلا بأموره الخاصة ، بحيث لم يكن يهتم كثيرا بما يدور فى البلاد الأخرى . فأخذتهم الدهشة فى عام ١٩١٤ حين علموا بأن انحرب قد نشبت فى أوروبا .

قام جيش ألماني باخترق دولة بلجيكا الصغيرة وغزا فرنسا . ف أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا مساعدة لبلجيكا وفرنسا . ولم يمض وقت طويل حتى دخلت الحرب بلاد أخرى كثيرة بحيث سميت هذه الحرب حربا عالمية .

وكان الأمريكيون فى البداية منقسمين فى شعورهم حيال هذه انحرب وكان كثيرون من الأمريكيين المنتمين الى آباء أو أجداد من المانيا يتننون انتصارها فى هذه الحرب . وأما معظم الآخرين فكأنوا يريدون مساعدة انجلترا وفرنسا ولكن القليلين جدا من الأمريكيين هم الذين كانوا يرون ضرورة اشتراك أمريكا فى الحرب . وظلت الولايات المتحدة ثلاثة أعوام خارج الحرب .

ثم فجأة ، وبدون انذار ، أغرقت الغواصات الألمانية خمس سفن أمريكية في شهر واحد . وتوقف الأمريكيون عن المناقشة حول الجانب الذى ينبغى أن ينضموا اليه في هذه الحرب ، وهبوا أنى العمل .

طلب الرئيس وودور ويلسون الى الكونجرس أن يعلن الحرب على ألمانيا وأخذ الرجال ينضمون سريعا الى الجيش وأسرت السفن بالابحار الى فرنسا وانجلترا محملة بالجنود والطعام والذخيرة وغيرها من الامدادات . وأقرضت أمريكا مبالغ ضخمة من المال الى البلاد التى تحارب ألمانيا . وفى أمريكا نفسها كان انجميع يعملون من أجل الانتصار في هذه الحرب .

أخذ المزارعون يزدون من محاصيلهم ، والناس يقللون من أكلهم ، حتى يمكن ارسال الأغذية الى الجنود والشعوب الجائعة في انجلترا وفرنسا . وتوقفت المصانع عن انتاج السلع المدنية وانصرفت الى تموين الجنود . وقصر أصحاب السيارات استعمالهم لها على الضرورى لتوفير الجاسولين من أجل المدرعات والسيارات والطيرات في أوروبا وكانت الأسر التى رحل عنها أبناء أو أزواج أو أشقاء الى أوروبا يتلهفون على الأنباء اليومية في خوف وقلق .

ولم يقدر لآلاف من الجنود الأمريكيين المحاربين في أوروبا أن يعودوا أبدا الى أوطانهم ، كما جرح منهم آلاف آخرون . وفي النهاية استسلمت ألمانيا في الحادى عشر من نوفمبر عام ١٩١٨ .

وقال الشعب الأمريكى (شكرا لله لقد انتهت الحرب فلندع
الله الا تنشأ أبدا ، أبدا ، ضرورة الى القتال مرة أخرى) .

وعمت الأفراح العظيمة فى جميع أنحاء البلاد احتفالا بانتهاء
الحرب . وعاد الناس الى حياتهم اليومية . وكانوا قد ظلوا مدة
طويلة محرومين من الحاجيات الضرورية والأشياء التى كانوا
يجبون أن يحصلوا عليها فأخذ الكثيرون الآن يسعون الى الكسب
والحصول على النقود ... وانفاقها .

أخذوا يشترون السيارات وأجهزة الراديو والمكائن
والثلاجات الكهربائية والقوارب الآلية والجواهر والمنازل الجديدة
الجميلة . وجعلوا يترددون على المسارح ودور السينما والمباريات
والألعاب ، ويضعون أموالهم فى مشروعات الكسب السريع ، ولم
يحدث قبلا أن تمتع الأمريكيون بمثل ما كانوا يتمتعون به الآن .

ورغم تحذيرات الرئيس « هربرت هوفر » جعل الأمريكيون
ينفقون عن سعة ، ولا يوفرون سوى القليل بحيث حدث فجأة
أن ولت الأيام السعيدة كما تنتهى فقاعة الصابون . وأغلقت مئات
المصانع والمكاتب والمتاجر فى جميع أجزاء البلاد ، وعجز
المزارعون عن بيع محاصيلهم وغرقوا فى الديون الثقيلة . ولم يجد
البناءون والنجارون عملا يؤدونه .

وبمرور الأشهر فقد ملايين الأمريكيين تقودهم ومنازلهم
وأعمالهم . وأخذ الجائعون من الرجال والنساء والأطفال فى المدن .

الكبرى يقفون فى صفوف طويلة كل يوم ينتظرون أن يوزع عليهم
الخبز والحساء المجانى.

لقد مرت فترات عصيبة على أمريكا من قبل ولكنها لم تكن
أبداً بمثل هذه القسوة والشدة وظل هؤلاء البؤساء فى كل ولاية
من ولايات الاتحاد يتساءلون فى لهفة متى ينتهى هذا الكساد
الهائل ؟





الفصل السادس عشر

أفزع حرب في التاريخ

(الزمن ٩٣٣ - ١٩٤٥)

جاء على الأمريكيين وقت انتخاب الرئيس الجديد وهم في أشد حالات اليأس والقنوط . وانتخبوا أحد أبناء عمومة « تيودور روزفلت » وهو « فرانكلين ديلاانو روزفلت » .

وكان فرانكلين روزفلت قد أصيب بشلل الأطفال منذ أحد عشر عاما ، وتركه هذا المرض مشلول الرجلين ، لا يستطيع أن يمشى دون أسناد من الجلد والمعدن . ولكنه كان قد استطاع أن يتغلب بشجاعة على ما أصابه من عجز ، ونصب حاكما على ولاية نيويورك . وبنفس الشجاعة مضى الآن يعمل على التغلب على ما أصاب بلاده من عجز .

وكان الرئيس روزفلت يؤمن ، مثل كثيرين من الأمريكيين ، بأن الحكومة الوطنية ينبغي أن تقوم بمساعدة شعبها اذا ما احتاج الى المساعدة . وأعد الأمور بحيث تقدم حكومة الولايات المتحدة مساعدتها في أسرع وقت ممكن . وفي خلال شهور قليلة ، بدأت المصانع والمتاجر والمكاتب تفتح أبوابها من جديد ، ووجد ملايين العاطلين أعمالا وأرزاقا . وأعطت الحكومة عمالا لمن لم يجد منهم .

وأخذت أحوال الأمريكيين في التحسن ببطء . ولكن الناس في أوروبا ، في هذا الوقت ، كانوا يزدادون خوفا وقلقا يوما بعد

يوم . فقد كانت بلاد أوروبا تنلج اندفعا سريعا نحو حرب أخرى .

فقد استولى على السلطة في ألمانيا طاغية اسمه هتلر . وكان ديكتاتورا فرض طاعته على كل شخص . وكان كل من يعصاه يتعرض الي نوع أو غيره من أنواع الشقاء .

وصل هتلر الى حكم الشعب الألماني . وكان يرسم الخطط ، الآن ليحكم أوروبا كلها . وكان يقوم بالفعل بإنشاء جيش جبار . وفي عام ١٩٣٩ بدأ هذا الجيش يزحف .

وأخذ الألمان يغزون بلدا صغيرا بعد آخر ، بالسيارات المصفحة وقاذفات القنابل المنقضة ، وجنود المظلات ، وجنود المشاة . وأسرت انجلترا وفرنسا لا تقاذ هذه البلاد الصغيرة وانعازت ايطاليا واليابان الى جانب ألمانيا اذ كان على رأس كل منهما حاكم ديكتاتور . واتسع نطاق الحرب في غضون عام حتى شمل أجزاء كثيرة من العالم .

وأرسل الأمريكيون السيارات المصفحة والطائرات والمبافع والطعام وغير ذلك من الامدادات لمساعدة انجلترا وفرنسا . وأخذوا في تقوية الجيش والبحرية والطيران حتى يكونوا على استعداد لمواجهة أى خطر . ولكن كان الأمريكيون مصممين على البقاء خارج الحرب اذا استطاعوا . وظلوا فعسلا بخارجها ثلاثة أعوام تقريبا . ثم أقبل يوم الأحد السابع من ديسمبر سنة ١٩٤١ .

وبدأ اليوم مثل أى يوم آخر من أيام الأحد . وفى « هاواى »
حيث كان يعيش كثير من الأمريكيين ، طلعت الشمس مبكرة على
مشهد هادى .

وعند « بيرل هاربر » قرب « هونولولو » كانت نسمة
دقيقة تدفع بالأمواج الحفيفة الى الارتطام بجوانب السفن الحربية
الأمريكية الراسية فى الخليج وكان هناك فى ذلك الصباح ست
وتسعون سفينة حربية فى الخليج أى ما يقرب من كل أسطول
المحيط الهادى .

وكان البحارة فى أماكنهم العادية على سطح السفن ، مثلما
كانوا يفعلون فى كل يوم ، فى انتظار رفع العلم فى الثامنة صباحا ،
بينما كان البحارة الآخرون ممن لا عمل لهم فى ذلك اليوم يتهيأون
للنزول الى البر ، للذهاب الى الكنيسة أو لزيارة الأصدقاء .

وعند « هيكام فيلد » ، الذى لا يبعد كثيرا عن هذا المكان ،
ربضت قاذفات القنابل الضخمة التابعة للجيش فى صفوف منظمة
قرب طريق الطيران هادئة ساكنة بينما كان المطار يتحول مكافا
بموج بالحركة والضجيج فى أيام الأسبوع الأخرى . وكان كل
شئ هادئا فى هذا اليوم . فالأسر القاطنة قريبا من المطار
تستيقظ متأخرة فى أيام الأحد ، أو تتناول فى هذه الساعة افطار
يوم العطلة الأسبوعية ، أو تضع الخطط لتمضية اليوم فى التزهة
الخلوية أو السباحة .

ولم يهتم أحد بذلك الصوت الذي سمع من بعيد . فغالبا ما تحلق الطائرات قرب « بيرل هاربر » . ولكن ذلك الصوت البعيد تحول بسرعة الى زئير مخيف . وفجأة أسودت السماء ممتلئة بالطائرات ، طائرات يابانية تحلق على ارتفاع منخفض ، وتلقى بقنابل الطوربيد المدمرة على السفن الأمريكية ، وطائرات أخرى تمطر المطار والمساكن القريبة بالقنابل .

« هاجمت الطائرات اليابانية بيرل هاربر ! سفننا الحربية قد غرقت أو تشتعل الآن في النيران » .

« دمرت قاذفات القنابل الرابضة ! قتل أو جرح في هذا العدوان المفاجيء مئات من الجنود والمدنيين . »

« هاجمت الطائرات اليابانية بيرل هاربر !! »

· وظلت هذه الأنباء الفظيعة تتردد طوال اليوم في ملايين المنازل الأمريكية عن طريق الراديو . وفي أول الأمر أصاب الناس ذهول ، ثم أخذهم الغضب الشديد ، وفي اليوم التالي مباشرة أدلى الكونغرس بصوته فعلننا الحرب على اليابان . وبعد ثلاثة أيام أعلنت ألمانيا وإيطاليا الحرب على الولايات المتحدة ، ووجد الأمريكيون أنفسهم داخل حرب عالمية ثانية .

وكان الأمريكيون يعرفون أنه لا بد من الانتصار في هذه الحرب اذا كانوا يريدون أن يعيشوا أحرارا ، ذلك أن الحرية قد اختفت من كل بلد من هذه البلاد التي غزتها قوات الديكتاتورين

وفي كل ولاية من الولايات الثماني والأربعين كان الرجال الذين لم يستدعوا للخدمة العسكرية يهرعون لبتقييد أسمائهم . وتولت آلاف النساء أعمال الرجال في المصانع والمزارع . وأصبحت آلاف أخرى ممرضات ، أو انضمن الى القوات المسلحة لتأدية كل ألوان الأعمال من الكتابة على الآلة الى قيادة سيارات النقل ، حتى يتفرغ الرجال للقتال . وكان الأطفال يساهمون بمعاوتتهم أيضا فيزرعون الحدائق ويعدون الأغذية حتى يتوفر الكثير منها للمحاربين من الأمريكيين والحلفاء .

واشتري الناس ستائر داكنة لتغطية النوافذ ، وتعلموا كيف يخفون الأنوار سريعا عن مدنها وبلدانهم حتى لا تتبين طائرات العدو أهدافها . وكانت تدريبات الغارات الجوية تتم في المكاتب والمصانع والمدارس . وفرض نظام البطاقات على الأغذية واللباسولين . وسريعا ما تغيرت حياة الناس كلهم في جميع أنحاء العالم .

واستمرت الحرب في أجزاء العالم الأخرى ، شهرا بعد شهر ، وأرسل ملايين الجنود والطيارين والبحارة الأمريكيين الى ميدان القتال خارج الولايات المتحدة . فحاربوا في أفريقيا ، وأوروبا ، وآسيا ، وفي الجزر النائية في المحيط الهادى مثل جزر « ايوجينا » و « جواد الكنال » .

وفي أثناء الفترة الأولى من الحرب كانت معظم أبناء القتال التي نقلها الراديو الى الأمريكيين أبناء سيئة . وعندئذ ، انهزمت

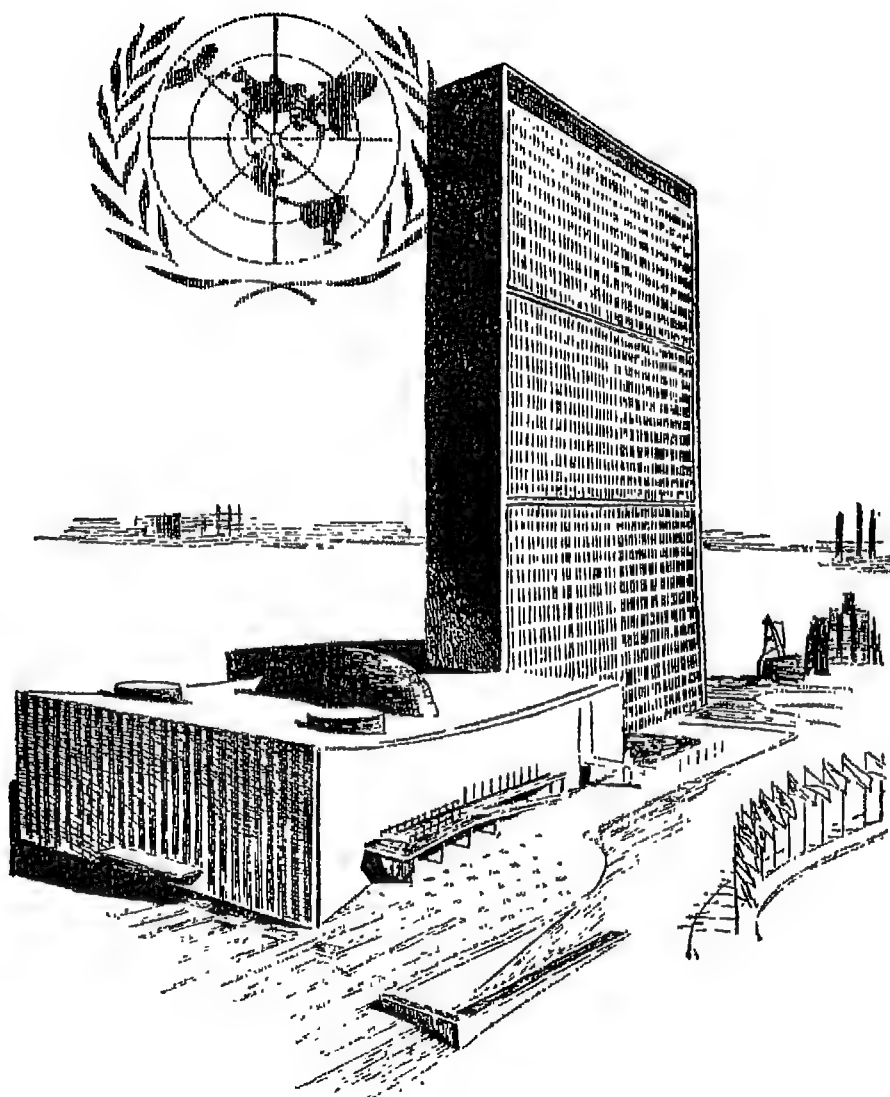
إيطاليا في سبتمبر سنة ١٩٤٣ . وبعد قتال مرير دام عامين طلبت ألمانيا الصلح . ولما جاء صيف عام ١٩٤٥ كان العدو الوحيد الذي استمر في القتال هو اليابان .

وفي هذا الوقت كان سلاح رهيب سميت قد تم اختراعه في الولايات المتحدة وقرر الرئيس ترومان وغيره من القادة استخدام هذا السلاح لوضع حد سريع لهذه الحرب . ولكنهم قرروا أن يعطوا اليابان انذارا وتحذيرا كافيين قبل استخدام هذا السلاح .

فبعثوا أولا برسالة الى قادة الحرب اليابانيين ، يخبرونهم فيها بأن على اليابان أن تستسلم أو تدمر .

وبعد ذلك حطت الطائرات الأمريكية فوق ثلاث وعشرين مدينة يابانية ، وألقت عليها منشورات تنذر الأهليين لمغادرة مدنهم قبل تدميرها . وبعد ذلك ، حينما رفض اليابانيون الاصغاء لهذه التحذيرات ، حطت قاذفة قنابل أمريكية فوق قاعدة الجيش الياباني في هيروشيما ، وألقت قنبلة ذرية .

ومع ذلك ظل اليابانيون يرفضون التسليم . فألقى الأمريكيون قنبلة ثانية على مدينة أخرى ، وبعد ذلك بخسة أيام ، وفي الرابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٥ ، استسلمت اليابان . وهكذا انتهت أفظع حرب في التاريخ . ولكن ظلت الحرية باقية في الولايات المتحدة ، وتحررت كثير من البلاد التي غزت في هذه الحرب .



الفصل السابع عشر

أرض الأحرار

أجل ، عاشت الحرية من جديد . ولكن كان العالم في حالة
بأئسة . فقد أصبح معظم أوروبا خرابا وأطلالا ، وبعض المدن
في آسيا قد خربت عن آخرها تقريبا ، وملايين الناس بلا طعام
أو مأوى .

وأمریکا هي الأخرى تحملت الشقاء ! اذ قتل أو جرح مئات
الآلاف من الجنود الأمريكيين ، وكلفت الحرب البلاد بلايين
الدولارات . ولكن البلاد لم تتعرض للغزو ، ولا ضربت المدن
والبلدان بالقنابل . وإلى هذا يرجع بعض السبب في أن أصبحت
الولايات المتحدة أقوى وأغنى أمة على سطح الأرض .

والأمة الغنية القوية تستطيع أن تغزو أمما أضعف منها ، أو
تستطيع أن تعاونها . وكانت أمريكا دائما تسرع بمد يد المعاونة
لشعوب الواقعة في البُزيق . وهنا انطلقت أمريكا تبذل ، أكثر مما
عملت في أى وقت من قبل ، على مساعدة الذين عذبته الحرب
من الرجال والنساء والأطفال .

وغادرت السفن شواطئ الولايات المتحدة تحمل أطنان
الأغذية والملابس والأدوية إلى الشعوب المحتاجة ، بل حتى إلى
الذين كانوا اعداءها ، وتبعثها سفن محملة بالبذور ، والأسمدة ،
والعدد ، والماشية ، والآلات الثقيلة لتستخدم في إعادة بناء الخليجان
والطرق المدمرة . كما أعطت وأقرضت مبالغ كبيرة من المال

للسعوب التى كانت تعمل من أجل تحسين أحوالها وأحوال غيرها .

وفى هذا الوقت ، كان المفكرون فى الولايات المتحدة ، وفى كل بلد تقريبا ، يسألون أنفسهم نفس هذا السؤال : ماذا يمكن أن نفعل للحيلولة دون قيام حرب عالمية أخرى ؟ .

وحتى قبل أن تنتهى الحرب العالمية الثانية اجتمع فى « سان فرانسيسكو » بكاليفورنيا ، زعماء خمسين أمة ، لمناقشة هذا السؤال . وقرروا أن يوحدوا قواهم ويعملوا فى جماعة واحدة أطلقوا عليها اسم « الأمم المتحدة » .

وانضمت ، منذ ذلك الوقت ، بلاد أخرى ، الى الأمم المتحدة . وتنعقد الاجتماعات فى مبنى الأمم المتحدة بمدينة نيويورك .

فلذا نشب نزاع بين بلدين فان أعضاء الأمم المتحدة يحاولون مساعدة هذين البلدين على فض النزاع دون قتال . ولم يكن الأعضاء ينجحون دائما ولكنهم لم يكفوا أبدا عن محاولة منع نشوب الحروب .

وفضلا عن التعاون مع الأمم المتحدة فان أمريكا تعمل باستمرار على معاونة جميع الأمم على العيش فى سلام . فان الأمريكين مع استعدادهم دائما للدفاع عن الحرية فانهم يريدون أن يكونوا أصدقاء لكل الشعوب فى جميع أنحاء العالم . وكلن « دوايت ايزنهاور » أمريكا عظيما ممن حاولوا إقامة علاقات الصداقة فى جميع أنحاء العالم .

وكان الجنرال ايزنهاور ، أثناء الحرب ، يقود الجيوش التي
 قهرت ايطاليا والمانيا وعلونت شعوب أوروبا على استعادة حريتها
 وبعد سبعة أعوام من الحرب انتخب رئيسا للولايات المتحدة
 وزير الرئيس ايزنهاور كثيرا من البلاد الأجنبية حاملا اليها رسالة
 الصداقة الأمريكية . وكانت تستقبله الجموع المتشوقة لسماع
 الرسالة التي جاء يحملها الزعيم الأمريكي الشهير .

وقال لهم انه يمثل أمة لن تحاول أبدا أن تغزو أو تحكم بلدا
 آخر . وقال أيضا ان الأمريكيين رغم ايمانهم بنظام حياتهم فانهم
 يعنون بالألا يحاولوا أبدا فرض هذا النظام على الآخرين وقال
 ان أمريكا تريد أن تتعاون مع أى أمة تعمل من أجل السلام
 والحرية . واستمعت اليه الملايين من الناس فزخرت بشعور جديد
 من الأمل والشجاعة .

وجلس ملايين الأمريكيين في منازلهم أمام أجهزة التليفزيون
 فشهدوا وجوه الناس وسمعوا أصواتهم وهم يصغون الى ايزنهاور
 انه لعصر رائع هذا الذى نعيش فيه فانه كما قربت الطرق البرية
 بين المستعمرين الأوائل فكذلك يعمل التليفزيون والراديو
 والطائرات السريعة على معلونة الناس في جميع انحاء العالم
 ليصبحوا كلهم جيرانا طيبين .

أجل ، انه لعصر رائع فعلا ! ونحن الأمريكيين نعيش في بلد
 رائع أيضا . فهنا ، في بلادنا ، قد ثبت أن أفلسا من أمم مختلفة

يستطيعون أن يعيشوا معا في سلام تحت علم واحد . هنا يستطيع
أن يأتى هؤلاء الذين فقدوا حريتهم في بلادهم فيجدون حريتهم
وهنا يستطيع أفقر فتى وفتاة أن يحصل على تعليم طيب وأن يجد
فرصة لكي يصبح زعيما وطنيا .

وليس كل شيء في أمريكا مثالا في الكمال ، ولكننا نحن
الأمريكيين لن نكف أبدا عن محاولة اصلاح الأخطاء . وبلادنا
مازالت تنمو كما ينمو الانسان السليم .. لا ينمو جسما وبنينا
فحسب ، وانما ينمو عقلا وقلبا . وكل أمريكي يستطيع أن يعاون
في هذه التنمية سواء كان يقطن ولاية من الولايات الثماني
والأربعين القديمة ، أو في واحدة من ولايتي « آلاسكا » ،
« هاواي » ، الجديدين .

وأنت أيها الأمريكي حين تحيي علمك ذا النجوم والشرائط
تذكر هؤلاء الذين قاموا ببناء هذه الجمهورية التي يخفق فوقها ،
واعتقد العزم على أن تكون مثلهم ، وأن تؤدي نصيبك من العمل ،
لكي تظل بلادنا كما نسميها الآن فخوريين : « أرض الأحرار
وموطن الشجعان » .

فهرس

صفحة	
٥	الفصل الأول : كلمة سحرية
١٣	الفصل الثاني : بداية جريئة
١٩	الفصل الثالث : انجلترا جديدة في العالم الجديد
٢٧	الفصل الرابع : ثم أصبح هناك ثلاثة عشر
٣٣	الفصل الخامس : انباء سيئة من وراء الجبال
٤١	الفصل السادس : متاعب مع الفرنسيين
٤٩	الفصل السابع : « اذا كانوا يريدون حريا ... »
٥٩	الفصل الثامن : واخيرا احرار
٦٩	الفصل التاسع : اوه ، هل تستطيع ان ترى ؟
٧٩	الفصل العاشر : فترة كبيرة حافلة بالتغيرات
٨٧	الفصل الحادى عشر : أسرع !! أسرع !!
٩٧	الفصل الثانى عشر : أيام قائمة للولايات المتحدة
١٠٥	الفصل الثالث عشر : أمة واحدة لا تتجزأ
١١٥	الفصل الرابع عشر : هنود حر ، ورعاة بقر ، وسيارات
١٢٥	الفصل الخامس عشر : أعوام طيبة وأخرى سيئة
١٣٥	الفصل السادس عشر : افطع حرب في التاريخ
١٤٣	الفصل السابع عشر : أرض الأحرار

الناشر
عالم الكتب
شارع عبدالخالق تروت - القاهرة